



27

ما وراء الطبيعة أسطورة رتنا...!



Looloo

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)

## مقدمة

انتهيت من قراءة بعض الأوراق العلمية ، وشعرت  
بـ ( كالتلو ) العينين .. ذلك المرض لم يصفه أطباء  
العيون قط ، لكنى واثق من وجوده ..

عيناى شبيهتان بقدمين مشتا أميالاً فى حذاء  
ضيق .. وحين نزع الحذاء - عويناتى - وجدتهما  
ملتهبتين منتفختين تنبضان ألماً وإرهاقاً .. وقد تكون  
( كالتلو ) قبيح فوق كل منهما ..

يسألنى البعض : ألمت متقاعداً ؟ لماذا ترهق نفسك  
بالدراسة إذن ؟

أقول لهم - فى كبرياء - : إننى تقاعدت لكننى لم  
أمت .. وأنا سأظل تلميذاً متبهرًا بالعلم حتى يحملوننى  
إلى القبر ..

إن الإنسان الميت هو الذى كف عن التعلم  
واكتساب الخبرات .. ولهذا ترون أننا محاطون  
بالموتى الأحياء طيلة الوقت ، لكننا لا ندرك ذلك ..  
وأشنع المسوخ طراً هو الميت الذى لا يبدو كذلك !  
مازلت طفلاً مفتوناً بكل هذا التقدم العلمى فى



الأعوام الأخيرة .. وكل هذه الطلاسم عن ( الهندسة  
الوراثية ) و ( سلسلة البوليمريز ) و ( العلاج  
بالجينات ) و ( كاميرا جاما ) .. كل هذه الأسرار  
المقدسة التي لو سمع عنها ( ماكس ليبمان ) أو  
( لستر ) لتحوّلوا إلى قرويين ساذجين ..

الآن دعوني أحك لكم قصة رهيبّة جديدة ..  
إن السرد الكلامي يتعب اللسان ، لكنه يرحم  
العينين ..

اسمحوا لي بأن أطفئ الأضواء جميعاً ، وأسترخي  
في مقعدى الأثير الوثير .. سأغلق عيني لأريحهما ..  
سأحكى لكم اليوم قصة أخرى لا دور لي فيها  
سوى السرد .. إنها لا تتحدّث عن أسطورة مصاص  
دماء .. ولا أسطورة مذعوب .. ولا أسطورة تبات  
قليل التهذيب .. ولا أسطورة وحش عائد من زمن  
سحيق ليجعل الحياة لا تطاق .. ولا .....

إن هذه الأسطورة تختلف .....

إنها ..... أسطورتنا .....

★ ★ ★

## ١ - أسطورتنا ..

حين انتهيت من صياغة قصة ( إيجور تاركوفسكى )  
وجنراله النازى ، شعرت براحة كبرى ..

لقد كان الخطاب طويلاً حقاً كتب فى مائة وعشرين  
ورقة كبيرة ، وبخط صغير جداً .. وأعتقد أن طوله  
عند الطباعة سيقترّب من الأربعمئة صفحة .. وأنا  
أحسد هذا الـ ( إيجور ) على صبره وحماسه ..  
وأحسد نفسه أنا على مثابرتى فى تهذيب الأسلوب  
بعد ترجمته طبعاً ..

وهكذا استطعت أن أكوّم الخطاب فى ( دوسيه )  
خاص لأغراض كهذه ، ودفنته فى درج مكتبى الأيسر  
السفلى الذى أفتحه كلما مرّت أربع وثلاثون سنة ..  
وبدأت التفتيش عن خطاب آخر مناسب ..

تجاهلت - بالطبع - كل الخطابات عن ( العفاريث  
فى دورة المياه ) و ( التليفزيون المسكون ) و ( القط  
الذى يطير ) ..

تجاهلت كذلك كل الخطابات المتعلقة بالجان والمس ..  
أنا أوّمن بالجان ، لأن القرآن الكريم ذكرهم بوضوح ..



لكن الموضوع معقد وملئ بالآفويل ، ولا أريد التدخل فيه بالنفي أو التأييد حتى لا يساء فهمي ..  
ويكفيني أن أخبراتي مع الجان محدودة جداً ، فليست خير من يتحدث عنهم بالتاكيد ..

آه ! أخيراً هذا الخطاب يصلح ..

\*\*\*

هذا الخطاب من مصر ..

الخط على المظروف رديء نوعاً ، وأنا أحب الخطوط الرديئة لأنها تشبه بصليق وجداتي ..  
وانفعالية لم تهذب بعد ..

إن الخط الجميل يكشف عن إنسان يرشح أفكاره بدقة قبل أن تلامس الورق ، ولربما أعجبت بسلوك وتهذيب لورد إنجليزى .. لكنى - بالتاكيد - أفضل قضاء أمسيتى مع شاب مصرى عادى جداً يتكلم حين يريد الكلام .. ويضحك حين يروق له الضحك ..

المحافظة هي ( ..... ) ..

اسم المرسل هو : ( هـ ) ..

( لست فى حل من ذكر الأسماء كاملة مادمت أكتب

لقارئى العربية ) ..

وعلى كل حال .. الخطاب طويل .. طويل جداً ..

أقرب إلى كراس متوسط الحجم ..

وبسهولة عرفت أن مرسلته أنثى .. أنثى متوسطة التعليم تخطئ فى قواعد اللغة العربية كما يخطئ فيها الخواجة ( جونسون ) نفسه .. كما أنها تعاني مشكلة لا حل لها بالنسبة لحرفى ( الذال ) و ( الزاى ) .. فتكتب ( زلب ) و ( زالك ) .. وتكتب ( رزين ) و ( زاهى ) .. أردت - فقط - أن أضحك فى الصورة ..

والآن .. تعال نطالع الخطاب معاً ..

\*\*\*

( عذيدى ) د. ( رفعت ) :

تحية طيبة و ( بعض ) ..

( ملحوظة : سأبدأ التصحيح اللغوى الآن حتى لا أضايق القارئ ) .

طالعت بعض مغامراتك الشائقة فى عالم الأشباح والأرواح .. كما استمعت إلى حلقات من برنامجك الإذاعى [ بعد منتصف الليل ] (\*) . وقد أحببت صوتك الوقور الرزين ، وآراءك الهادئة فى كل ما تسمعه عبر سلوك الهاتف ..

الآن قررت أن أخذ رأيك فى المشكلة التى أواجهها .. مشكلة لا حل لها للأسف لأنها حياتى ذاتها ..

(\*) تعرفون المزيد عن هذا البرنامج فى الكتيب العشرين ..



فلو كنت تملك حلاً : أرجو أن ترسله لى على  
العنوان المرفق .. أو كنت لا تملك فلا بأس ..  
كل ما أطلبه منك هو الثقة بهذه السطور ، والسرية  
التامة .. فهذه الحقائق ليست للنشر فى أية صورة  
مقرونة بأسماء أبطالها الحقيقيين ..  
لا بد أنك عرفت محافظتى من العنوان ، وعرفت  
كذلك أننى أقيم فى قرية صغيرة قريبة من المركز ..  
هى ( ..... ) ..

اسمها مضحك .. أليس كذلك ؟ يقول البعض إنه  
مستوحى من اسم فرعونى قديم .. ويقول آخرون إنه  
تحويل لتسمية أطلقها الجنرال ( مينو ) بالفرنسية  
على موقع هذه القرية ..  
لا يهم .. المهم أنها موجودة .. وأنا نعيش فيها ..  
وأجروا على القول : إننى أحبها ..

\*\*\*

والآن دعنى أعرفك أفراد أسرتى الصغيرة ..  
أولاً : أنا ( هـ ) .. فى السابعة والعشرين من  
عمرى .. أنة .. حاصلة على دبلوم متوسط لكنى  
لا أعمل ..

من المعتاد هنا أن تقول كاتبة الخطاب : يقولون :

إننى حسناء .. لكنك فى سن تسمح لك بالغفران  
للغرور البشرى .. لا داعى للتواضع الزائف إذن ..  
أنا حسناء .. بل أنا أجمل شىء رأيت فى حياتى ..  
لماذا لا تتزوج فتاة حسناء حتى السابعة والعشرين  
من عمرها ، فى قرية تسمى الفتاة عالسة إذا لم  
تتزوج حتى من العشرين ؟!

هذا ما ستعرف سببه بعد صفحات عدة ..

ثانياً : أمى .. فلاحه عادية جداً وبائسة ..  
لا يميزها شىء .. ويقال إنها ابنة خفير العزبة التى  
يملكها أبى ، لكن أسئلة كهذه لا تطرح .. ولم يجسر  
أحدنا على سؤالها ..

ثالثاً : أبى .. الثرى الرقيق الذى سئم حياة المدينة  
وعاد إلى الجذور .. يملك عزبة مترامية فى القرية ،  
وعلى وجهه الذى زانت السنون بتجاعيد الخبرة ..  
ترى ملامح عز قديم لا شك فيها .. وترى وسامة  
وملاحه لم تغمرها الأعوام بعد .. لقد اتسبب النهر  
القديم ليروى الفروع .. والوسامة القديمة وجدت  
فروعها فى بناته ..

يقال أيضاً : إن أبى كان متزوجاً من إحدى  
وصيفات الأميرة ( فوزية ) .. وهو وضع اجتماعى



كان يثير الحسد في مصر قبل الثورة .. ثم إن المرأة  
المتعالية شامخة الأنف فقدت صوابها مرة .. قالت  
لأبي إنها أخطأت يوم تزوجت فلاحاً ابن فلاح ..  
صارحها أبي بأنه فخور بجذوره ، وأنه يفضل أن  
يكون فلاحاً على أن يكون من سلالة لص هرب من  
( الأستاذة ) وجاء إلى مصر متظاهراً بالارستقراطية ..  
ثارت المرأة وأمسكت بكوب الماء .. وكأنا على مائدة  
الغداء .. وقذفته في وجهه .. وكانت هذه آخر غلظة  
تقارنها في حقه ..

يقال : إنه أوسعها ركلاً وصفغاً .. ثم طلقها ..  
بعد هذا راح يفتش عن فلاحه طيبة تعرف حق  
زوجها وبيتها .. أو .. على حد قوله - أراد زوجة  
( من وراء الجاموسة ) ..  
وكانت أمي هي الزوجة المناسبة .. ولم يكن  
مخطئاً تماماً ..

رابعاً : شقيقتي ( س ) .. طالبة في كلية الآداب  
بالقاهرة .. في العادة نقيم في المدينة الجامعية أكثر  
أشهر الدراسة .. لكنها الآن معنا في عطلة الصيف ..  
رأيتي الخاص أن ( س ) أقل جمالاً مني بمراحل ..  
وهذا كاف لجعلها فاتنة !

خامساً : شقيقتي ( ن ) .. طالبة في المدرسة  
الإعدادية .. مراهقة جداً .. لها كل مزايا وعيوب  
واهتمامات كل المراهقات الأخريات ..

سادساً : شقيقتي ( ي ) .. طفل في الثامنة من  
عمره .. شديد الذكاء والحيوية .. لكنه - كما هو  
واضح - ( آخر العنقود ) كما يقولون .. وبالتالي هو  
المدلل في الأسرة باعتباره ذكراً .. وأصغرنا ، وأنا  
أرجح أن تربيته خاطئة ، وأنه سيشب سفاهاً أو  
مدمناً مخدرات .. فكلهم يبدعون بذات الكيفية .. لكن  
من في بيتنا يجرف على انتقاد أسلوب تربية ( ي ) ؟  
أسرة تراها في كل مكان ..

فما هو الغريب هنا ؟  
ما الشيء المفزع الذي يتسلل إلى أحلامك ليلاً ،  
فيجعلك تصحو مذعوراً غارقاً في العرق البارد ؟  
سأحكى لك يا د . ( رفعت ) ..  
سأحكى لك أسطورتنا ..

\* \* \*



## ٢ - معارفنا !

ما كان لأبى أصدقاء كثيرون ..

هذا متوقع بالطبع .. أنت تفهم شعور أثرياء ما قبل الثورة هؤلاء الذين جاء التأميم ليأخذ منهم ما اعتبروه حقهم الطبيعي .. وكان أبى منهم .. بعد هذا يكون نفور الأصحاب منه تدريجياً .. ويدخل فى طور التحول ما بين ( اللامنتمى ) إلى الثورة .. و ( المتسلسل ) إليها .. على حد قول أديبنا العظيم ( نجيب محفوظ ) (\*) .. ربما كان بوسعى أن أعد أصحابه على أصابع اليدين .. هناك الحاج ( شعبان ) .. خفير العزبة .. ذلك العجوز الأشيب ذو الشارب الكث الذى يأتى يوماً فى أوقات غير مناسبة - كالفداء والنوم - ليعطى أبى نفوداً ، أو يعطيه أبى نفوداً .. معاً يتبادلان حديثاً هامساً من أحاديث ( الأعمال ) .. وعلى قدر علمى كان ( شعبان ) دائماً هناك .. وسيظل .. هناك - كذلك - ( عاصم بك ) .. وهو واحد من الأعيان

(\*) طبعا لم تكن الفتاة هذا .. لكنى أحاول توضيح كلامها المفكك

السابقين ، ما زال يعيش فى الماضى حين كان يتنزه مع امرأته فى ( القمصا ) كل صيف ، ويقضى الشتاء فى ( سان مورتيز ) .. يرتدى دوماً حلة وردية اللون ، فى جيبها زهرة حمراء ، وعلى رأسه طربوش أحمر فاقع اللون .. يصبر على ارتدائه منذ أن أطار ( أتاتورك ) الطرابيش من فوق رؤوس الأتراك جميعاً .. ويصر على أن عرى الرأس ( قلة قيمة ) .. و ( عاصم بك ) عجوز متصاب .. لا يفهم أن دورة الزمن قد أطاحت بشبابه وماله .. لهذا يرتدى تلكم الثياب المبهرجة .. يضع - صدق أو لا تصدق - ماكياجاً كاملاً مكوناً من كريم الأساس والكحل وأحمر الشفاه .. لكن محاولته هذه تزيد قبحاً وإرعاباً .. كأنه مومياء وضعوا لها ماكياجاً لتبدو حية .. إن أبى لا يثق بهذا الرجل .. ويؤكد أنه كان وصمة على البشرية فى شبابه ، فمع هذا الرجل لم تجد الثورة ما تصادره .. أضاع الأحقق كل شيء على النساء والشراب وموائد القمار التى يؤكد أنها خضراء دائماً ..

الخلاصة : من الممنوع على أية فتاة فى الدار أن



يظهر كعبها عندما يكون ( عاصم بك ) عندنا ..  
تصور أنه قد طلب يدى من أبى !

رأتى مرة واحدة وأنا أناول صينية الشاي للخادمة  
الريفية .. وكان هذا كافياً كي يصارح أبى بأنه يشعر  
بالوحدة ، وأن الوقت قد حان ليجد من تؤنس وحدته ..  
فى كياسة أفهمه أبى أن فارق السن يتجاوز  
الخمسين عاماً .. وأن حفيدته يمكن أن تنجبلى  
بسهولة .. ثم بدأ يزداد غلظة وهو يفتح هذا المعتوه  
بأنه لو أصر على هذا فلن يرحب أبى به فى الدار  
مرة أخرى ..

وهكذا أغلق شيخنا قلبه على حبه الكسير !  
الضيف الثالث من ضيوف أبى مهندس رى فى  
الأربعين من عمره ، يدعى ( محمود أبو طه ) ..  
رجل مهذب متأنق فى غير إفراط .. وإن كان له  
عيب خطير هو ولعه بالشعر ..

والشعر الذى يحبه المهندس ( محمود ) ويكتبه  
ويقرؤه - كلما وجد من يسمع دون معارضة - هو  
شعر المناسبات السخيف .. وأنا لا أفهم السبب الذى  
يجعل إنساناً يفعل به ( عيد الفلاح ) أو ( وفاة وكيل



إن أبى لا يثق بهذا الرجل .. ويؤكد أنه كان وصمة على  
البشرية فى شبابه ..



أول الوزارة ) أو ( عيد المحافظة ) ، إلى درجة كتابة قصيدة لا تقل عن ستين بيتاً .. كلها تنتهي بقافية الألف على غرار ( إقبالا - آمالا - إجلالا ) أو ( شبابا - بيابا - مهابا ) ..

وكل أبياته محكمة لكنها مسطحة خالية من أي شعور .. ( كلام موزون مقفى ) على حد تعريف الشعر في الكتب القديمة ..

للمهندس ( محمود ) زوجة لطيفة هي ( زينب ) .. امرأة متأنقة كزوجها لطيفة المعشر ..

سرعان ما كانت تترك الرجال لمجلسهم ، وتدخل إلى الغرفة التي تجتمع فيها نحن النسوة ، أو تقف معنا في المطبخ تعاونتنا في إعداد القهوة ..

تلثم أمي على وجنتيها في اشتياق ، وتداعبها مداعبات ذكية طريفة لا تفهمها أمي بالطبع .. فقط تبسم كاشفة عن أسنانها المتساقطة وتهتف في مرح :

- « خطوة عزيزة يا ( زينب ) هاتم ! »  
وتتطلق ( زينب ) هاتم تقرص هذه .. وتلطم هذه .. وتدغدغ هذه .. و ....

- « لقد أردت جمالا على جمال يا بنت يا ( هـ ) ..

تري أي شيء تطعمك أمك هذه المرأة الأريية ؟ وأنت يا ( س ) ؟ لقد صرت نحيلة كالقلم الرصاص .. إنك تحرقين نفسك في الدراسة دون جدوى .. وفي النهاية ستتزوجين وتتمسين كل هذا الهراء .. هيه ! صدقيني .. ليس للمرأة سوى البيت .. لن تصيري ( من سلامة ) مهما حاولت !

فتقول لها ( س ) مصححة :  
- « اسمها ( من زيادة ) يا طاطط .. ( زيادة ) لا ( سلامة ) .. »

تقول مدام ( زينب ) وهي تلوح بيدها في استهتار :  
- « قطيعة ! ( زيادة ) .. ( سلامة ) .. لا فارق .. المهم هو ما نحصل عليه من سعادة في حياتنا .. إن الأمر .. اللعنة ! إن زوجي يقرأ قصيدة جديدة بمناسبة عيد الحصاد .. سنعود إلى ديارنا مع الفجر .. ثبأ ! .. وأنت يا بنت يا ( ن ) .. تزدادين جمالا .. تري هل بلغت مبلغ النساء بعد ؟ هل أخبرتك الحاجة أم ( هـ ) بما سوف يطرأ عليك من ..... ؟ »

فتقاطعها أمي في حزم باسم :  
- « حنانيك يا ( زينب ) هاتم .. لا أريد أن أفتح



عينيها على أمور كهذه .. إنها مجرد طفلة .. «  
وهنا نسمع صوت الزوج يناديها من قاعة الضيوف ،  
فتسوى ثيابها في عجلة ، وتلتئمنا من جديد ، وتعود  
إلى الثرثرة :

- « يا ( زينب ) ! »

- « إن بعلى يناديني .. يا للأسف ! كات قصيدة  
قصيرة .. والآن أنا مضطرة إلى العودة .. سلام  
يا بنات .. و ... »

- « يا ( زينب ) ! »

- « ألن تزورينا أبداً يا أم ( هـ ) ؟ وعدتني بهذه  
الزيارة منذ أعوام ولم تفي بها .. »  
ثم تنظر نحونا وهي تشير لأمي :

- « أمكن امرأة كسول ! »

فأقول أنا مدافعة عنها :

- « إنها تضل الطريق لو أبعدتها ثلاث خطوات عن

الدار .. فهي لا ترى الشارع أبداً .. »

- « يا ( زينب ) ! »

- « اللعنة ! » - تقول وهي تلتئمنا للمرة الثالثة - :

« على أن أتصرف الآن وإلا كان الطلاق حتمياً ! »

ويغادر هذا الإعصار الصاخب الظريف مطبخنا ،  
ونسمع عبارات اللوم من الزوج ، وعبارات الاعتذار  
الحارة من الزوجة ..

عندئذ تنتهد أمي .. وتغمغم :

- « بنت حلال حقاً ! »

وتدمع عيناها .. ولا تسألني عن السبب طبعاً ..  
إن كل أم في الريف دامعة العينين حين تبكي وحين  
تضحك .. يقتلها الحزن على من ماتوا من أحبالها ،  
ويقتلها القلق على من عاشوا من أبنائها .. إن الحزن  
هو شعيرة أساسية من شعائر الشخصية المصرية  
خاصة الأمهات .. وهن يشعرن بذنب كبير حين يسمحن  
للمرح بأن يتسلل إلى نفوسهن .. تعرف هذا من  
العبارة الخائدة اللواتي يختمن بها ضحكهن من القلب :

- « اللهم اجعله خير ! »

كأن الضحك ذنب يستحق عقاباً فادحاً ..

\*\*\*

يأتي بعد هذا د. ( نجيب ) من أصدقاء أبي ..  
وهو رجل وقور جداً .. صموت كقبر .. لكنه  
يصفى دون ملل إلى شكوى أبي التي لا تنتهي عن  
مشاكله مع النقرس أو التبول ..



في مرة جرحت راسي جرحاً بليغاً وان صفتة .  
 وحده د , حبيب ) حملاً حيث اسود وابتدأ و  
 كان الام لا يوصف لكني تحملت حتى لا ابدا ناعمة  
 في عين هذا الرجل الفخم ..

كان يدخن العيون باستمرار وكان ابي و ا عاصم  
 بك , بدعس ( اندر حية ) وكان اشمس  
 ( محمود ) يدخن نفاثات تنبع لهذا كان نادراً عبق  
 معن في انسه م حبيب . ولا يفرق نعرف وقطع  
 الالبات الا في عيدي الفطر والاصحى حين يتم تنظيف  
 البيت كله وفتح النوافذ التي قلم تفتح  
 حذيت كنت ترى ابي و ( ام شفيق ) - الحادمة  
 الريحية قوية العضلات كرحر - عاكفين على الكس  
 وعسير الارصيت , بينما فتيات الدار يقمن بعث  
 الستائر وغسل اغطية الارائك ..

ثم يكن نديب في الدار من حدم سوى ( ام شفيق )  
 و ( هاء ) و لاحيرة تدسة بحيلة شاحبة كتحرباء .  
 بنهاء قليلا نعيش في عدم لا يصدق من الكاذب التي  
 تلفتها ببراعة عادية ..

\* \* \*

تسألني عن اقاربنا ..

اقول : انهم ليسوا كثيرين ..

وهؤلاء - غير الكثيرين - يرورون بكم وغث \*  
 هت حتى ( طه ) وحتى ( عرت ) وهت عم  
 في ياتي كتم مرت عشرة اعوام . وكن هؤلاء الاقارب  
 ياتون فترات لا تتجاوز نصف الساعة . وكنهم رسمي  
 جدا لا يمزح ولا يسر من احوال . اشك في  
 ان احد هؤلاء يعرف اسماء بدقة كما اني لا اذكر  
 لقاء حدث بين ابي وحارني و ابي وعمي ولم ار  
 ابناءهم قط ....

\* \* \*

ام عن صداقاتنا في تلك ان تحسن انها معدومة  
 سنون ضوينة قد مصت مد كانت في صديقة م  
 امر عذيب نكهة - باتن كيد - نيس مفزع  
 فم هو السر الذي يجعل روايتي هذه حذيرة بتارة  
 هلكت ؟

انا لم أفرغ بعد يا د . ( رفعت ) ..  
 ما زلت أحكي لك أسطورتنا ..

\* \* \*

( \* ) على فترات متباعدة ..



### ٣ - معتقداتنا ..

يقع منزلنا عند أطراف القرية ..

ويتألف في تركيبه وأثاثه ومطبخه مناسه الشكل الذي اصطنع الناس على تسميته ( دوارا ) المساحات الواسعة ، وأبواب الخشب التي تحمل السقف ، وأبواب الخشب الذي يفقر لثاقفة . وقد تعرضت أحراة من كسوة المفعد وتم تعطينها بسجادة الصلاة ..

كر هذا يحمر طائف حميف محب دون شك وحين تغادر الدار تمر عبر فسحة تنتشر فيها أشجار النيمون والبرتقال ، وتمة كرمة عيب صغيرة ثم تعبر بوابة خشبية قديمة الى رص الفضاء هدف هذه الأرض تقع مقابر القرية ..

\*\*\*

لماذا يخاف الناس المقابر ؟

لم أستطع أن أفهم هذا قط ..

ثم اعرف في حياتي مكات أكثر منا وسلاماً من مقابر قريتي عرشها شبراً وحفظ كرسية

ساحة بنظمتور على شواهدهم واعرف عدد المزروعات أمام كل قبر ..

نقد امصيت صبي الاول هاهنا ، فهو مع ( س ) و ( ب ) . ونعيب المسكة في هذا الفضاء العريض وها هنا رحلت اراجع دروسي قبل امتحان السنة الإعدادية ، وقد تنشرت الكتب حولي ، ورحلت أكرر سلا كثر تاريخ الدولة العثمانية وكيف كن ( محمد عن ) يعيب بالبيضة والحجر كل هذا وأنا أحشى ان يهبط الظلام على فلا تمكن من مراجعة الكتب كنه راحة زهور البرتقال قادمة من مكان ما ، وراحة الهواء الحاف ، وأعراض الربيع التي تتحرك في روعي المراهقة فتسببها بأنف سوط عندئذ كنت أبكي دون سبب ..

ولماذا - إذن - يخاف الناس المقابر ؟

\*\*\*

لكننا لم نذهب الى المقابر قبل التطهيرة فقط

ك لا نخاف الموتى لكننا نمقت البشر الأحياء كثيراً وكلهم كانوا هناك في فترة الصباح قبل أن تغنى الشمس من الأفق

كنت أعرف بعض الوجوه والأسماء ..



فهذه ( هـ ) وهذه ( عـ ) وهذه ( عـ )  
وهؤلاء امهاتهم بعصهن نصف فلاحات متلها  
وبعصهن فلاحات تمام من ( هـ ) شطيق )  
نكهن كن يتحسب بدات الاسوب الذي تتحدثهن  
به ان هي لا هرة راس عذرة مهن لنا وعبرة  
على غرار :

« كـ ، جـ يا ( هـ ) سلامك تلححة »  
لم يكن متعديت لكن هي علفت ان الاخرين سر  
دائم وانه كلما قل عدد معارف كلما ازدادت حرية  
وسلاما ..

رسم كان لهذا جود من صدمته بعد ربحته الاولى  
وبعد التاميم وتسيجة هي انب شات متفقت  
كانت وقع تعلم في ثلاث مدارس ، لكن لم حظ  
بصدفه وحده يمكن ان ادعوه صديقة كان هناك  
دب الانهر لاونى سحرى وحماني وتصمم احدهن  
عنى نعرفى فلا تظهر منى سوى الصمت والفقور  
الاسرة الاسرة هي التسيء الوحيد الحدير  
سنتة والذي يستحق ان نعلم جميعا من اجله  
هكذا رأينا وكذا نتا وهذا هو صرنا

★ ★ ★

كانت أمى تؤمن بالسحر كثيرا ..

فهى من الاسود تقرويات النواتى لم ينشئ تعلم  
وكن تلقتهن تتحصر فيم سمعته من حداثهن عن  
( ختم سيمر ) و ( النعم ) و ( الابر ) و ( العفريت  
مشقوفى الاعين ) و ( صفيه لاهفاء ) وما الى  
ذلك ..

كنت ترى العفريت فى كل مكان ويومض انهم  
معت فى كل ركن من الدار واحيت كانت توجه  
التحية لهم ..

فبذ جاء يوم الجمعة نصعدت راحة النحور  
ودوى صوت طفطة الملح ..

فذا مرضت واحدة من اتسعت امى البخور  
وراحت ترقبها بعدرات غريبة هذا معقدة على غرار  
« يا فسوح يا فسذاني امع عمر اليهودى  
والنوراني .. واللى له غرض تانى ! .. »

ثم تحرق عروسي بذابية تصعها من الورق ،  
وتفرس فى كل موضع من جسدها دوسا وهي تكرر  
عبارات الرقية المسجوعة ..

حين ينتهى الاحتراق كنت تجد كتلة من الرماد  
الاسود لها شكل مـ ي شكر عشوانى



عند تهتف أمي في التصبر إن أرماد اتخذ منك  
 ( أم همد ) أو ( أم حديجة ) أو أي أم أخرى من  
 الجيران .. وتؤكد لنا وجهة نظرها :  
 - « هر ترون ؟ ه هي ذى العيس و لاف  
 المحدث .. والشعر المجعد .. إنها هي .. »  
 الواقع أن أيمانها هذا كان يتكرر بعثت يرى  
 ما تعبته وتدرجيا نجد أن أرماد هو بعينه ( أم  
 همد ) أو ( أم حديجة ) وهذا دليل لا يدحض على  
 كونها هي من حسدت مريصتنا أو مريض  
 أما أن يتساءب الشخص في أثناء رقيه فهذا دليل  
 آخر على كونه محسودا ..

\*\*\*

في يوم من الأيام جاء صياد حملا سنة به بعض  
 لأسماك التي اصطدها من الترة المحورة  
 كانت هناك بعض أسماك ( الفراميط ) حية تتحرك  
 وينتوى وكانت من تفحص السنة حين هلت في  
 هلع :

- « يا للكفرة .. أبناء الكفرة ! »  
 والنقطة بكفه سمكة تنتوى ورفعتها في الصوء  
 لترينا إياها ..



و لنقطت بكفه سمكة تنتوى ورفعتها في الصوء  
 لترينا إياها



كذلك هناك كدابة على حدة السمكة بحجر لا يمكن  
إرساله وقت واحد مع بعضهم بعد . هتفت في حرج  
- . هـ عسر ' من بعض أنواع الأعصر واستعملها  
بكبابة على حدة ( تفرموت ) لا يمكن التفرغ عليه  
أو فكتة - . السس الذي كتب هذه نفوس من أحده  
لا يجد ساعة راحة واحدة .. »

وسد حيرد وفسود به عهدها فيها - . دارف سكب  
عمدك وراحب بفتح السمكة التي تراجح

ثم ناولتها للبائع في تهيدة خلاص :

- . سبكت منها - . لكن عبت ان تنقى بها الى  
الترعة من جديد .. »

ثم أترجس بكفه في لا مبالاة وحسن سته وانصرف  
هو هو الخراج سدر عوشت امي عليه . وقد بدو  
بكر هذا نوع من السخف والنهرء - . لكنه كان حميد  
وحرء لا يفتخر عن كبريها - . الغيب القدرى - . فهو  
أحبنا كل هذا لأنه منها ..

\*\*\*

كان لا بد ان يتصور السؤال على سطح وحدان من  
لماذا ثم الروح بعد برعم بنوع السبعة والعشرين  
من العمر ؟

. ٣٠

من - . الإلهي - . لماذا لم يتقدم لي احد قط ..  
كنت تعرف الحواب - . كنت كن يعرف الحواب  
نكته - . كاتعدة - . راحت نفوس في دياجير الضلالم  
والاحجية والاعمال المدهونة على عتبات السيوت  
بضع كذبت تدايتها مع ( ام سفيق ) - . ثم قامت  
المرآة بظنبيها - . وحدها الشبح ( بيسيوني )  
الذي يقص على مرمى حجر من دار - . وهو رجب  
اتيب معمد خبيث الراحدة والنطرات - . وأنك لا امقت  
في النعم سيب من هوذا النصبين السيب يتطهرون  
بشدين - . بينما هم يمارسون السحر الذي قرره  
الإسلام بالكفر ..

جاء أترجس وسعز الكثير من الخور . وفرا بعض  
قراءات رعم انها بئنة السريانية . ثم اعلن ان  
هناك ( عملا ) مدفون في المقابر . وان إحدى  
الحارات الحقة تسمى قد صنعته لي وأن هناك  
شروطا لاستخراجه ..

صحت في أمي بعصية :

- « ماما .. لن تصدقني هذا السخف ! »

- « ش ش ش ش ش ! »

اصبغ سبابة على سفتيها يذرنى من التماذى في



هرضقتي ، وراحت تصيح السمع لما يقوله هذا المشعوذ  
وحين عاد أبي إلى الدار ، صارحته بما حدث اليوم  
كنت اعرف ان هذا سيثير إعصار حنقه على أمي  
لكني لم أرد ان يدور هذا الهراء في داره دون علمه  
وعلى الفور نادى أمي ، وقد ارتسمت الشراسة  
على ملامحه .. ثم هتف محنقا :

« ان انت تسمحين لهؤلاء النصابين بدخول الدار  
في غيبتي وتجعنيهم يعرفون من أسرارنا الخاصة  
ما لا يرى نور الشمس ثم تثرثرين في كل صوب  
ان ابنتك صارت عاتسا ان هذا الرجل كافر يا امرأة  
كافر لأن ( من نفث في عقدة فقد كفر ) . »

بالطبع لم تفهم أمي معنى ( النفث في العقد ) برغم  
انها تستعيز بالله من ( شر النفاثات في العقد ) عدة  
مرات يوميا ..

كان الدرس قاسيا مريرا لكنه ضروري  
ومن يومها لم تعد أمي لهذا الحديث لكنني  
أعرف أنني أسبب لها مشكنة دائمة إن العاتس  
القبيحة محتملة أما العاتس الحسناء فأمر لا يمكن  
المسكوت عليه ..

المشكنة التالية كانت أختي ( س ) التي ستخرج

قريب ولن يضرك سبه عريس لماذا ؟ كتب  
يعرف السبب لكن لا تعترف به لانفسه  
وأمي لا تعترف بكل الهراء المثقف عن استقلال  
المرأة ودورها البناء في المجتمع و و و ان  
كل الغرض من وجود المرأة في الحياة عندها هو ان  
يتزوجها أحدهم وأن تلد وترضع وتربي نساء  
أخريات يتزوجهن آخرون .

\* \* \*

الحق يا د ( رفعت ) ان لي جاني العاطفي

لم لا ؟ ألسنت أنثى من لحم ودم ؟

ستجاوز عن خيالات المرافقة المهمة التي تمزج  
حب الطبيعة بحب الحيوانات الصغيرة بحب  
الأغاني وتصنع من كل هذا كيتا غمض بلا اسم  
أهيم به حبا .

كانت عاطفتي تجد متنفسا لها في مدونة عنزة  
تند أو وضع بضع هريرات ونيدة في صندوق من  
الورق المقوى ، والخروج بها إلى الشمس أو  
وضع زهرة في شعري ..

والحقيقة أن صورة الرجل في ذهني كانت دوما  
صورة أبي . الأمر الذي كان عسيرا أن أجده في أي  
فتى من سنني ..



تم بدأت انمو وافهم ان هذك رجلا اخرين غير  
ابى ومن المفهوم ان من حقى ان احصل على اى  
واحد منهم عريس فى اللحظة التى اقرر فيها ذلك  
وكن فى قريننا عدد لا يس به من التسبان  
المتعلمين وعلى قدر م من الثراء ومنهم من هو  
جميل الصورة ..

لكن واحدا منهم لم يتقدم لى . ولا تسأل عن  
السبب

وعندما ظهر ( ع ) فى حياتى . كنت قد بدأت أعدد  
نفسى لرحلة الوحدة الابدية دون رفيق لرب ودون  
أطفال ..

كن ( ع ) وجها جديدا فى قريننا مدرسا شابا  
جاء من المركز لمدرسة القرية الابتدائية . وكان  
يسافر يوميا - ان كانت رحلة الدقائق العشر إلى  
مركز تدخر فى نطاق السفر - رافضا عدة عروض  
للإقامة فى القرية ..

ثم يكن متزوجا . وكان لطيفا مهذب . حرك حلم  
النزوح لدى كل بيت القرية الحاصلات على شهادة  
أقر من شهادته او غير المتعلمات انواتى تمنين  
لو كان يرغب فى زوجة أمية ..

دوما كتبت عدسة المحهر مسنطة عليه . وبدأت  
الفتيات يترددن اكثر من اللازم على المدرسة  
لاصطحب اخوتهن وراحت الأمهات يرون المدرسة  
- بحجة الاطمئن على الأجل - ليتفقدنه بنظرة نافذة  
مدققة .. هل يصلح لابنتى فلانة ؟

كان خجولا . وحين يحمر وجهه فى هذه المواقف  
كتبت كل ام تقرر انه يصلح بتأكيد لانتها

ان المدرستين الاعدادية والابتدائية متلاصقتان فى  
قرينتى وقد اعتدت ان اقصد الثانية فى ميعاد  
الانصراف لاصطحب اخى ( ي ) ثم انتظر ( ن )  
عند خروجها من الاولى . وعود مع الى الدار

وكن ضروريا ان يراى ( ع ) وبالتالي يهيم بى  
حبا ولا ألومه كثيرا على ذلك ..

وحين قأبنت احى ( ي ) فى ذلك اليوم عند  
مغادرته المدرسة . كن - كعادته - يرتدى المربوطة  
القذرة التى مسح بها الأرض مسحاً وشعره ثائر  
مبعثر والجروح تملأ وجهه وساقيه وقد تمزقت  
يد حقيقته فندنت الاخيرة على الأرض

عندما ترى ( ي ) عندما يدخل المدرسة صباحا  
ترى أحد أبناء الذوات المتأقنين لكنه لا يختلف عن



اترايه دوى ( المصطفى ) عند معادته للمدرسة  
وهذا يسره لانه ينغى اختلافه عنهم ولأله - كديدن  
من فى مثل سنه - يعتبر الآفة والنظفة علامتين  
على الأتوثة والتدليل :-

قال لى ( ي ) ضاحكا :

- « الأستاذ ( ع ) يسأل عنك ! »

احمر وجهى - لانى شعرت بالدم يصفر فى اذنى -  
وتساءلت :

- « لماذا ؟ »

- « لا أدرى .. »

- « وماذا قلت له ؟ »

- « أجبت عن أسئلته طبعاً .. »

تدعته واعتصرت اذنه بين ابهامى وسببى ،  
معنة انه ليس رجلاً ، وأن المفترض الا يفشى اسرار  
شقيقته ، ما دام هذا المعلم لا يمت لك بصلة قرى

نكنى - بينى وبينك ياد ( رفعت ) - لم اكن  
غاضبة إلى الحد الذى تظاهرت به ..

\*\*\*

سأوفر عليك المنز اذن ، ولا أطيل فى وصف  
محاولات المدرس الشاب لكسر حاجز الخجل والتحفظ  
كى يتقرب إلى ..

إن الاطفال والحيوانات هم افضل ذرائع لكسر هذا  
الحاجز وكنت الطبيعتين متوافرتان فى ( ي ) الذى  
هو طفر وقرد صغير فى نفس الوقت ، وكن لا بد من  
تدرج الحوار بينك حول ( ي ) تحصيله الدراسى  
شيطنته . إلخ إلخ

وبعد ستة لقاءات كنا قد غدونا متعارفين

لا اعنى باللقاء ما تعنيه اللفظة . ان هى إلا عشر  
دقائق وقت انصراف السلاميد ، وسط قطعتهم التيرة ،  
جوار بوابة المدرسة ، ويتم الحوار ههنا وسريعا  
وكلا ينظر إلى جهة أخرى كاتم يوشك على الرحيل  
هل ملت إليه ؟

لا أدرى حقاً ان اضطراب العواطف فى بيئة  
منقطة يدعوك إلى خداع نفسك سريعى يكفى وجود  
شخص مناسب تتركب عليه هذا الحشد من العواطف  
الجاهزة المتراكمة فى صدرك ..

سرعان ما تظهر أغنييت ( أم كنثوم ) وقصائد  
( ناجى ) والوردة الحمراء اياها كأنما كانت هذه  
الأشياء تنتظر ظهور الشخص المناسب فى المكان  
المناسب ، فلا تعبك لحظة حتى تسأل نفسك . اتراى  
أحبه حقاً ؟

أنت ناضج يا د. ( رفعت ) ويمكنك فهمي دون  
عناء ..

قل لي ( ع ) ذات مرة في لقاءاتنا المسروقة :  
- « إن ( ي ) ولد ذكي لكن الاطفال يضايقونه »  
- « يضايقونه ؟ »  
- « إنهم يسخرون منه .. كان هناك سرا ما يتعلق  
بأسرتكم .. وهم يهددون بإفشائه ! »  
قلت في ضيق :

- « لو كان هناك سر فأرحو أن يعلنوه »  
- « لم أقصد مضيقك . لكن هذا هو الانطباع  
الذي خلفوه لدى .. »  
وساد اتصمت الثقيل هنيهة . بعدها كرر أسفه .  
كانت هذه هي مشكلتنا ..  
إننا نختلف عن الآخرين في أشياء كثيرة .  
ومن هنا جاءت أسطورتنا .....

★ ★ ★



بكيت وحود شخص مناسب تركب عليه هذا الخشب من  
المواطب الجاهزة المتراكمة في صدرك ..



## ٤ - صداقاتنا ..

سوف قص عليك الآن قصة طريفة عن شقيقتي  
( س ) ..

انت تعرف انهن تقيم في القاهرة . في مسكن  
للطالبت طيلة فترة الدراسة ، حتى اذا جاءت العطلة  
عادت إلينا ..

ان ( س ) اقل جمالا مني وأقل ذكاء . هذه حقيقة  
ربما هي طالبة في الجامعة لكن الشهادات لا تدل  
على الذكاء أكثر مما تدل المسبحة على الإيمان  
لكن ( س ) أكثر اندماجا في المجتمع ، وأكثر تقبلا  
لفكرة وجود الآخرين ..

\*\*\*

عرفتها مزدوجة في المسكن ..

تقيم معها طالبة في كلية العلوم تدعى ( نرمين ) ،  
وهي فتاة هادئة رزينة صموت ..

وفي المساء كنت الفتاتن تجلسان - كل واحدة  
على هراشها - تدرسان وقد انتشرت كتبهما على

الفراش . ولا بأس من تبادل بعض الأحاديث او قيام  
واحدة منهما بمساعدة الاخرى على تصفيف شعره  
في الحادية عشرة مساء يدق الباب ..

وتدخل إلى الغرفة ( هيام ) ..

( هيام ) طالبة علوم في علمها النهائي .. جميلة  
إلى حد لا يصدق - على حد قول ( س ) - تتمتع بروح  
دعابة هائلة ..

وسرعان ما تخضع خفيها ، وتثب إلى الفراش جوار  
( س ) ربما تدخل معها تحت العطاء وتصرخ  
في مرح :

- « البرد قاتل إن حجرتكما أدفا حرة في هذا  
المنزل .. »

وتنهض ( نرمين ) ضاحكة لتعد ثلاثة أكواب من  
الشاي الساخن . ووجبة مرتجلة من الفول والبيض  
وأي شيء يتصادف وجوده في الحجرة ، فنو وجدت  
هذاء قديما لأضافته إلى الخليط ..

لحظت من المرح لا يمكن ان يمر الليل بدونها  
ومن اجنها تنتظر ( س ) و ( نرمين ) نهاية اليوم في  
سوق .

ان ( هيام ) تعاني من أن زميلتها في الحجرة ثقيفة  
النظر تفتقر لروح الدعابة . وهي - تقول ( هيام ) -  
طالبة طب تثير هلعها بكل العظام التي تكسبها في  
الحجرة .. عظام بشرية طبعاً ..

- « ان طائبات الطب هؤلاء » - تقول ( هيام ) -  
« يفقدن أنوثتهن وشبههن سريعاً . يصعب على ان  
أصدق ان سريكة حجرتي هي فتاة في ميعة الصب  
بل هي أقرب الى شيخ طيب القلب لا يكف عن  
تفحصي في حكمة من فوق إطار عويناته »  
وتتربع على الفراش لتحسو جرعة أخرى من الشاي  
وتقول :

- « ألن تأتي إلى حجرتي أبداً ؟ »

فتقول ( نرمين ) في استبشاع :

- « بعد كل هذا الوصف ؟ مستحيل .. »

ثم إن حجرتها في الطابق الثالث . ومنذ أن أنشئ  
هذا المسكن والعلاقات على غير ما يرام بين طلبة  
الطب الثاني وطلبة الطابق الثالث فهذا الأخير  
تعمره طائبات انطب المتحذقات المفرورات قليلا  
والنواتي يتضايقن لو لم تناديهن الأخريات بنقب  
( دكتورة ) ..

الخلاصة أن هذا التألوث وجد في الصداقة ما ينسيه  
مرارة الغربة ..

\*\*\*

حدث نafe وقع في كنية العلوم التي تدرس فيها  
( هيام ) . حادث لا اهمية له لكنه صخرة تقع في  
بركة المنزل اليومي محدثة دوائر ودوائر  
لقد طلق احد الاستاذة منك زوجته ، ليستزوج من  
طالبة عنده تصغره بثلاثين عاماً ..

وكان هذا الحادث شهيراً في تلك الاونة ، وتسرب  
خبره الى كل الكليات تقريباً .. وعرفته ( نرمين )  
التي تدرس في كنية علوم أخرى وكان لابد من  
الثرثرة والقليل والقال ..

وحين جاءت ( هيام ) في تلك الليلة ، سألتها  
( نرمين ) وهي تعد الفول إياه :

- « كيف حال الفضائح عندهم ؟ »

هزت ( هيام ) كتفها في لا مبالاة :

- « كالمعتاد .. »

- « أعني ماذا يقولون عن ( م ) ؟ »

و ( م ) هذه طبع هي الطالبة التي تزوجها استاذها



لكن ( هيام ) هزت كتفها من جديد في غير فهم  
وغمفت :

- « ( م ) من ؟ »

- « ( م ) التي تزوجت من د. ( ر ) ؟ »

- « لا اعرف اعنى لم يصلى هذا الخبر

هل تزوجته حقاً ؟! »

وضعت ( نرمين ) الملعقة في الكسرولة ، ودفنت

قبصتها في خصرها واستدارت لتواجه ( هيام ) .

- « اذن انت الوحيدة في العلم انتى لم تعرف هذا

هل كنت نائمة في الكهف مع كلبك ؟ »

- « ان جهل المرء بالفضاح يزيده شرفاً . وان

لا أعيا بهذا الهراء .. »

تدحنت حتى ( س ) تنتهى المحدثنة لكن

( نرمين ) طنت غير مصدقة ان ( هيام ) تحهل كل

شئ عن الموضوع والأستاذ ( ر ) استاذ كيمياء .

اى انه فى نفس القسم الذى تدرس فيه ( هيام )

وقد دفعته هذه الدهشة إلى بعض الاجراءات الغريبة

كانت تمت حيرة كيميائية لا بأس بها - برغم

كونها فى قسم الحيوانوحيا - لذا أمسكت كتابها .

وراحت تسأل ( هيام ) عن بعض المعضلات الكيميائية  
التي لم تستوعبها فى دراستها لكن ( هيام ) أعلنت  
فى اصرار انها جاءت هاهنا لتمرح وتضحك ولم  
تأت لتدرس ..

\*\*\*

منتصف الليل بعد ما رحلت ( هيام )

فى الظلام تحلس الفتاتان مضطجعتين كل على  
فراشه . وصوت دقت العنبر الرتيبة تك تك تك  
تك تك ! »

بعد دقائق همست ( نرمين ) بصوت ناعس .  
دعها إليه شعورها بأن الظلام يحسم الاصوات أكثر  
من اللازم :

- « ( س ) .. هل نمت ؟ »

بصوت مماتل همست ( س ) وقد اغمضت عينيها .

- « لا .. ليس بعد .. »

- « أنا أشك فى أمر ( هيام ) هذه ! »

مرت هنيهة ثم فتحت ( س ) عينيها وتساءلت

- « ماذا تعنين ؟ »

- « إنها تزعم أنها طالبة علوم .. ومن المستحيل

ألا تسمع طالبة علوم بـ ... »

قَاطَعَتِهَا فِي سَامٍ مَثْنِيَّةٍ :

- « هَآآآ .. .. فَلْنَقْلُ إِنِّهَا لَا تُحِبُّ الشَّائِعَاتِ .. »

- « وَمَعْلُومَاتُهَا فِي الْكَيْمِيَاءِ لَا تَزِيدُ عَلَى

مَعْلُومَاتِ طِفْلِ .. »

- « وَمَذَا فِي ذَلِكَ ؟ » انْ شَحْصِيَّةٌ مَرَحَةٌ كَهَذِهِ

قَلْبٌ تَدْرُسُ ثُمَّ مَا الَّذِي تُعْرِفِيهِ أَنْتِ عَنْ

( الْجِيُولُوجِيَا ) ؟ »

- « لَا زِلْتُ غَيْرُ مُسْتَوْبِحَةٍ .. »

- « أَرَى أَنَّ التَّوَمَّ عِلَاجُ نَآءِ الْجَعِّ لِلْعُقُورِ الْمَرِيضَةِ »

وَمَاتَ ( س ) تَارِكَةً ( نَرْمِين ) تَحْدَقُ فِي الطَّلَامِ

وَقَبْلِ أَنْ تَسْمُ بِدَوْرِهَا كُنْتَ قَدْ أَرْمَعْتَ أَمْرًا

★ ★ ★

كَانَ وَنَ مَا فَعَلْتَهُ ( نَرْمِين ) فِي الصَّبَاحِ قَبْلَ

مُفَادَرَةِ الْمَسْكَنِ ، هُوَ أَنَّ تَعْرِىَ مَكْتَبَ الْمَدِيرِ لِنَسَائِلِ

عَنْ ( هِيَامِ ابْنِ الْفَسْحِ ) ، وَكَانَ الْحَمَاسُ تَسْدِيدًا فِي

الصَّبَاحِ نَكَّرَ الْمَدِيرُ أَحْسَرَهَا أَنَّ هُنَاكَ ( هِيَام ) فِي

الطَّبَقِ الثَّلَاثِ تَعِيشُ فِي غُرْفَةٍ وَاحِدَةٍ مَعَ طَالِبَةِ طَبِّ

ذَاتِ عَوِينَاتٍ ..

لَا يَأْسُ .. أُرَاحُهَا هَذَا قَلِيلًا ..

وَمَاتَ ( س ) تَارِكَةً ( نَرْمِين ) تَحْدَقُ فِي الطَّلَامِ ..



ذهبت الى كنيستها ، وحضرت دروس الصباح كلها  
لكن قوايس المصادفة كنت تحبى لها مفحصة صغيرة  
( عفاف ) ..

( عفاف ) صديقتها وبنة مدينتها اتى تقيم هي  
الآخرى فى القاهرة والى تدرس العلوم فى كلية  
أخرى غير كليتها ..

كانت ( عفاف ) فى المكتبة تبحث عن مواد بحث  
طلبه منها استاذتها ، ولم تجد ما تريد فى مكتبة  
كليتها

وكن عذرى ففلات فسة لا حصر لها  
- « فى أى سنة انت بـ ( عفاف ) ؟ إن الامر قد  
اختلف على .. فأنت من هواة الرسوب .. »

هرت ( عفاف ) راسها ونمت ظهر كعها  
- « حمد الله انها السنة الاخيرة لقد قسنتنى  
دراسة الكيمياء هذه قلت لابی مرارا اننى لا أصلح  
سوى للزواج و .... »

هنا وجدت ( نرمى ) الفرصة الساتحة :

- « هل تعرفين ( هيام أبو الفتوح ) ؟ »  
قضت ( عفاف ) جبينها محاولة التذكر :

- « ( هيام ) ؟ هل هى زميلتنا ؟ »

- « بالطبع علوم قسم كيمياء فى السنة  
النهائية .. »

- « لا اعتقد ولكن - » ثم بثلت بلسانها  
شفتها السفلى - « لا لا توجد عند ( هيام )  
بالتكيد ان دفعتنا صغيرة ومن الصعب أن  
ثم أشرق وجهها ، وواصلت الثثرة :

- « ترى هل خطبت ماذا عن المهندس  
الذى »

لكن ذهن ( نرمى ) تحول الى خنية بحر فلم تسمع  
شيء

\*\*\*

اذن الفتاة مزيفة ( هيام ) ليست كما تزعم  
من هى ، وكيف تسنت الى مسكن الطائبات ؟  
وكيف طنت تخدعها وتخدع ( نرمى ) خمسة اشهر  
كاملة ؟

ما هى الاستفدة التى تحصل عليها ؟ لا بد من  
استفدة ما ربما كانت ( هيام ) رجلا متكررا و  
اقتصر بدنها تفكرة ثم طردتها سريعا ان ( هيام )

دون سكت فتاة فتاة تخدمهما لغرض في نفسها  
ولكن ما هو ؟

\*\*\*

حين عادت الى المسكن قبيل المغرب ، صعدت الى  
الطابق الثالث وسالت ساكنة العرفة الاولى عن عرفة  
( هيام ) ..

أشارت لها الى الباب الخامس .. فقرعته

سمعت من الداخل من يدعوها فتحت الباب

كانت هناك فتاتان وكثير جدا من العظام البشرية

ام الاولى فكانت جالسة على مكتب معدني صغير  
تدرس في كتب هائل الحجم كانت ترتدى تعويصات  
وتبدو كعجوز طيب القلب ..

اذن انت طلبة الطب قالتها لنفسها وتمنت

الفتاة الاخرى التي كانت تنف شعرها حول اسطوانات

( الرولو ) أمام المرأة ..

سألتها الثانية في ارتياب :

- « هل تريدان شيئا ؟ »

- « أبحث عن ( هيام ) .. »

- « أنا ( هيام ) .. وأنت ؟ »

٥٠

قالت في ارتباك وهي تعلق الباب ببطء حرجة منه

- « أبحث عن ( هيام أبو الفتوح ) .. »

- « لا توجد ( هيام عبد المحسن ) لو كانت تصح .. »

وهي كمن الباب قد تعلق وعدت ( نرمين )

تهبط في الدرج الى غرفتها بالطابق الثاني

اذن الفتاة ( هيام ) تعرف امر هذه الغرفة ولهذا

رعت أنها تقطن فيها هذا يفسر ما قلته المدير

عن وجود ( هيام ) في الطابق الثالث ..

هنا تحدثت المصدفة من جديد في صورة العاملة

العجوز البديهة ، تلك المرأة التي يحتم الشحم على

قنبرها فلا تفعل شيئا تقريبا ، لكنهم يقولونها في المسكن

على سبيل التبرك اسمها ( فاطمة ) والطائيات يدينها

بـ ( دادة فاطمة ) ويبدو أنها هاهنا منذ الأزل

كانت المرأة عاكفة على صعود الدرج ، تجر أمامها

وخلفها قنطير مقنطرة من الدهن حتى كانت تلقى

حطبها بسكنة قلبية . فتم رأت ( نرمين ) هشت

وبشت لها وراحت تلهث تعبيرا عن المودة

سألتها ( نرمين ) بعد تبادل التحيات :

- « هل تعرفين من تدعى ( هيام أبو الفتوح )

يا دادة ؟ »



واصنّت المرأة اللّهات واستندت إلى ( الترابزين )  
وقالت :

- « لا يا بنيتي .. لا أحد هنا بهذا الاسم .. »  
ثم - بعد تفكير - أردفت :

- « كنت هناك واحدة بهذا الاسم منذ اعوام  
كنت جميلة كنقمر حبيفة انظر كنتعربت ضاربة  
سوم على مذكر ان السن يتقدم بسى ونم اعد  
الذكر ما كنت على العداء ثم داء السكرى هذا »  
- « وأين هي الآن ؟ »

- « بالتاكيد هناك .. حيث لا يعود أحد ! .. »  
- « ماذا تعنين ؟ »

مصمصة العذوز بشفتيها وعممت  
- « رحمها الله ! لقد حمنت جسدها اشرب بهاتين  
اليدين ونكر حين تكونين فى عمرى يفدو  
الموت رفيق يوميا لا يتير رعك نمدا شحبت  
هكذا بيتى اعفرى لى هذا الحديث المقصص  
ونكر نمدا تسين عنها الآن بلدت »

\*\*\*

الآن عرفت يا ( س ) كل تفاصيل القصة  
كنت ( نرمين ) ترتحف كورقة وبدت قصتها

مهشمة غير مترابطة ، فتم تتصح اجزاؤها الا مع  
السرد الثالث ..

وظلت ( س ) تتأملها وهى تحكى دون تطبيق  
حتى إذا ما انتهت من الكلام قالت لها :  
- « دعك من هذا الهراء انها قصص تصلح  
لأفزع الأطفال .. »

- « حقا ؟ ولماذا أوشك على الموت رعب ؟ »  
- « لانك تمكين عقول دجاجة يا ملاكى »  
هبت ( نرمين ) فى عصبية .. وصاحت :  
- « ربما لكنى لن أنتظر ثانية واحدة بعد هذا  
سأمل الذئب ضحيحا ولسوف أجلب المسؤولين  
ليحققوا مع هذا ال .. شىء .. »

- « كونى عاقلة يا حمقاء .. إن هذا ..... »  
- « لن أنتظر حتى تدخل هذه الحثة الحية عرفتى ! »  
واتجهت للباب لتفتحه ..  
حين دوى صوت الطرقت الرقيقة على باب الحجرة  
طرقات تعرفان صاحبتهما تماما .....

\*\*\*

## ٥ - شقيقنا ..

والآن سترك الصديقين في هذا المازق غير المتوفى كي نتعرف بشكل أفضل حياة اخي الصغير (ي) الذي - كما قلت لك - هو (ديك البرابر) و(آخر العنقود) في بيتنا العامر ..

نم يتعلم (ي) بعد القواعد الصارمة لدارنا لكنه بدا يفهم اننا نختلف عن الآخرين الى حد معين كمن يعرف ان هناك اشياء غير مأثوفة تجري في دارنا لكنه - بحكم سنه الصغير - كان عاجزا عن فهمها ..

وفي المساء حين يأتي اصدقاء أبيه ، وتتصاعد روائح التبغ ودخان السجائر ، ويدوى صوت صحكات (عاصم بك) المتظرفة ..

عندها كن يعرف ان (علاء) و (سهد) قدما وبندييه الصوتان الرفيعان من وراء خصص الشفدة ، فيهرع الى امه طائبا السماح له بالخروج .  
- « سألعب مع (علاء) و (سهد) في المقابر »  
تقول الام وهي متفونة في إعداد القهوة للضيوف :

- « هذا لن يكون دون أن تسأل أباك .. »  
فيتركها ويدخل - في كياسة - الى قاعة الضيوف ويتصق في حياء بأبيه الجالس يكمل حديثه مع المهندس (محمود) ولا شعور يظوق الاب خصره في لطف وهو يواصل الكلام ..

يلفت المهندس (محمود) نظر الأب :  
- « ماذا يريد هذا الرجل الصغير منك ؟ »  
فيهمس (ي) بطنب الاذن في مسمع أبيه  
- « الوشوشة عيب . كرر ما قلت بصوت عال »  
- « اريد اللعب مع (علاء) و (سهد) في المقابر »  
فينفجر (عاصم بك) ضاحكا :  
- « هل تسمعون ؟ لقد ورث الطفل مزاج أبيه السوداوى ' ابن حلال مصف ' هي هي هي ' »  
فيحملك فيه الاب منبرا ، ثم يشير للطفل أدنا له بالخروج :

- « لكن - أرجوك - لا تتأخر او تذهب بعيدا »  
ويهرع انصبى مغادرا الدار ليجد الطفلين النذيين من سنه ينتظران جولة الباب الخارجى ..  
وينطق الجميع - دون كلمة تحية واحدة - الى المقابر وبين الشواهد المنظمة يبدأ المرح هو



يوجد مكان أفضل لنعيب المساكاة ؟ هل يوجد مكان  
أفضل لققر الحواجز ؟

كان ( علاء ) مهذب وكنت ( ناهد ) ملاك رقيق  
يحاف كل شيء لكنها لم تخش المقبر قط

لم يحاول ( ي ) ان يستلهما عن عنايتهم عن  
مدرستهما عن اسمهم لكنه كان يحبهم دون  
تحفظ وكانت من طبقة أثرياء الفلاحين التي تمارس  
طبقتها ، لذا لم يجد صعوبة في التعامل معهم

يعرف كل شيء عن المقابر ويعرف اسماء  
سكانها واحدا واحدا لكنهما انذرا مرارا بالابتعاد  
عن الساحة الجنوبية - جوار شجرة التوت العملاقة -  
لان المحوز ( عباس ) لا يحتمل ضوضاء الاطفال

ذات مرة كاد الرجل يفتك بهم ..

فهو محوز حيث المظن ، نه عين المحي سواده  
فرحت تلتمع كنولة في الظلام ، وقامت مديبة ،  
واطرافه التي اكنت الروماترم صارت اقرب الى المخاب

راح يركض وراءهم وهو يسب وينعن ويقذفهم  
بالحصى حتى افنوا منه وكنوا وراء شاهد قبر  
عملاق ، يلهثون ويرتجفون ..

من يومها لم يدنوا من شجرة التوت قط .

كان هناك خطر اخر ينقص لهوهم هو الكلاب  
السوداء العملاقة - المسعورة دوم - التي ابتليت بها  
القرية ، وحين تنقأ أحدها كنت ترى عيني تنمعن  
في الظلام منترتين بالويل وتسمع هدير امتوعدا  
ثم تدرك فجأة ان ثيابك ممزقة وسافيت تنزقان  
وان احدي وعشرين حقة في جدار البطن تنتظرك في  
مستشفى المركز ..

لكن - الغريب - لم تهجمه الكلاب فط طائما كان  
مع ( ناهد ) و ( علاء ) ولهذا السبب كتبا يوصلاه  
إلى باب الدار بعد ساعتين من الهو البريء ثم  
يظمنان على دخوله ويعودان أدراجهما الى بيتهما  
الذي يجهل كل شيء عنه ..

وحين يعود للدار يجد الضيوف قد أوشكوا على  
الانصراف وتدنس ( زينب ) هاتم قطعة من  
الحنوى في يده ، وتربت على رأسه . عندها يدخل  
إلى الفراش لينضو ثيابه يرتدى منامته وينام

\*\*\*

أما المشاكل الحقيقية فهي في المدرسة  
ان الأطفال هم منوك التعذيب في العلم وقد كان  
زملأوه في الصف يمقتونه حقاً وكنوا يجيدون  
التعبير عن هذا ..

انه مهديم اسبق الثياب وكتبه منسقة . وحقية  
يده من الجند ، فى حين كانتوا جميعا يرتدون  
مربولات قذرة متسخة فوق سراوير مناماتهم . وكان  
كـ منهم يحمل كيسا من القماش يدس فيه كتبه .  
وكتبهم - عندما تخرجها من الكيس - هى اقرب إلى  
( الكرنب ) منهم إلى الكتب ، بأوراقها المجمعة  
المكرسة المتنفة

إنهاء نظيفين وانه خال من المحاط  
لهذا كان هو العدو الطبيعي لأترابه . وكم من  
معارك دموية خاصها من أجل الانتقام لكرامته  
ولهذا نجد انه - فى نهاية اليوم - يصير واحدا منهم  
فى بعثرة الثياب واتساخها ...

لم يكن هذا هو السبب الوحيد  
ثمة سبب آخر لا يعرفه حق لكنه مهين للغاية .  
ونكم من مرة حول أحد اصدقائه اغظته قائلا .  
- « يا ساكن بيت العفارىت ! »

او يقول واحد آخر محررا لسانه ، مستعملا إحدى  
يديه كقبضة ( الهاون ) والاخرى كـ ( الهون ) نفسه .  
- « يا صديق الموتى ! »

ولم يكن ( ي ) يفهم . ولم يكن ينتظر حتى يفهم

بل تنطلق قبضته كاتقذيفة إلى أى مكان فى مساحة  
سطح صديقه عينه اتفه رقبته بظه  
ويستحم الجسدان فوق التراب وسط التهليل والتصفيير  
وغائبا لا تحسم المعركة الا بعصا تنهال عشوائيا على  
جسديهم ، ويمسك بها استاذ مرهف الحس التربوى  
لكن ( ي ) ارتاح كثيرا للاستاذ ( ع )  
كان دائم التسجيع له دائم الاقتصار به من  
معذبيه

وحتى فى سنه التصغير لم يكن عسيرا على ( ي )  
ان يفهم أن ( هـ ) هى سبب هذا الاهتمام الزائد  
نم لا " انه يحب الاستاذ ( ع ) فهو لطيف  
المعشر شديد الحياء ولن تخسر الأسرة كثيرا لو  
انه صار فردا منها ...

دعا الله فى صلاته - التى تعلمها من أبيه - أن  
يتحقق هذا الحلم وصارحنى مرارا بذلك ، فكنت  
أحرره فى شىء من خشوة لكنى سررت فى سرى  
لانه يرى ما نراه ....

\*\*\*

فى ذات يوم نادته أمى حيث كانت فى المطبخ تعد  
القهوة - دوما هى تعد القهوة - لتضيف ..



اتحت به ركن جوار الموقد ورعت على  
ركبتيه ليتمكن من سماعها وهي تهمس وسائته  
- « هل أنت ذاهب إلى المقابر اليوم ؟ »  
- « طبعا .. حين يجرى ( علاء ) و ( نا ... ) »  
- « حسن .. أريد منك معروفا .. »

وتفتت حولها بحذر ثم عدت تهمس له :  
- « يوحد قبر بلا مرروحات امامه اريد منك ان  
تبش التربة التي حوته بحثا عن كيس من المشمع  
كيس منقوف حول أشياء ما هاته لى ولكن  
لا تفتحه هي سمعت " لا تفتحه " احمله لى دون  
اسئلة ودون أن يشعر بك أحد »

« حسن .. »

قالها شاعرا بأهميته ..

وفي الحال جاء صديقه فذهب معهما إلى  
المقابر كعادته ..

وكان القبر المقصود هك لم يكن الامر عسيرا  
وبعد تنقيب طويل على ضوء عود من الثقب وجد  
ضائقته ، فدسها في جيبه وقلبه يخفق كالطير  
وعاد إلى الدار فناول ( الكنز ) لأمه فنظمته  
شكرا وملأت كفيه بخوى البغداع من العيبة التي

وبعد تنقيب طويل على ضوء عود من الثقب وجد ضائقته

تضعها في ( ثنية ) المطبخ العنة العريضة التي  
عليها صورة غرانة تتدرج الالمق ، وتحمر اسم  
الخواجه إياه ....

ر ها - والحنوى في قمع - تتأمل العفة ثم  
تغمغم في لوعة :

- « الكفرة اولاد الكفرة ' انى كن الشيخ ( بسيوس )  
ص.د.ف وكنت عنى حق ' هذا ( عمل ) »  
بعد هذا بسبوع تقدم الاسناد ( ع ) طالب يدى ' .

\* \* \*

لا أريد هنا أن أبدو حاسمة يا د. ( رفعت ) ..  
قلت لك ما حدث ، وان أعرف ان نقواتين المصادفة  
دروا لاس به تم اتنى خير من يعرف الشيخ  
( بسيوس ) واعرف انه بالتأكيد هو من دس هذا  
( العمل ) لى لكن يجده فيم بعد ويحذ اجرا  
لا بأس به مع الحلوان ..

نكر تصور لحظة نو لم يكر ( بسيوس ) هو من  
دس هذا ( العمل ) لى ان هذا يعنى ان هناك من  
يكرهنى بحنور ويعنى ان هناك سحرا سيظتيا  
فعالا يفوق ما نتصوره ..

\* \* \*

( ع ) يعرض امكثيته وظروف أسرته في دقة .  
وبتزان يثير الاعجب . لقد كن شبا رصينا حقا  
ابى ينصت له واضعا ساق عنى ساق كان  
مجملا حازما متحفظا يشتري ولا يبيع كما ينبغي لابي  
أن يكون ..

( ي ) يدخر الحجرة ويخرج منها متوترا - كأنما  
هو العريس - وقد ارتسم الفخر عنى ملامحه فهو  
- ككل الاطفال - يحسب المعلم كدنا دينا صوري اسطوري  
مكتبه المدرسة ، لا يغادرها ولا يزور ولا يزار  
ولا يكر ولا يشرب ولا ينام وهو يشعر بأن له  
دورا فى جعل هذا الكائن الأسطوري يتلازل ويدخل  
دارهم ..

تسأله أمى فى همس مسموع :

- « هيه ؟ ماذا يقولان ؟ »

- « يتحدثان .. »

يقولنها وهو يصغر خده لها فى غرور ثم يتركها  
عندما تلى غرفة الصيوف وقد رسم سمات الخطورة  
على وجهه ..

وتسمع صوت ( ع ) يكمل كلامه :

- « . وهكذا ترى يا سيدى أنا أسرة طيبة ابى



## ٦ - مخاوفنا ..

حينما رحل الفتى ظل أمي جالسا في مقعده الأثير  
بعض الوقت ثم امر الخادمة أن تعذله ( النارجيلة )  
وأن تدعو سيدتها إلى القدوم إليه ...

مسحت أمي يديها في المنشفة ، وخرجت - هائمة  
بالدعاء - من المطبخ ، لتجلس إلى حوار أبي جلستها  
الخائفة على طرف المقعد التي هي إلى الوقوف اقرب  
دقائق ممت ولا شيء سوى قرقرة الماء في  
( النارجيلة ) ، ورائحة التبغ الزكية تفعم القاعة

لقد ظل أبي متمسكا بـ ( النارجيلة ) كاحر معالم  
الفخمة واعتقد أنه كان يأخذ منها ما هو أكثر بالتأكيد  
من الدخان التركية التي كان يعيش فيها قبل الثورة  
كان يأخذ الوضع الاجتماعي إذا فهمت هذا التعبير .

قال لها بعد صمت طال :

- « عرفت ما دار بيننا بالتأكيد .. »

- « سمعته - طال عمره - من ( ي ) .. »

- « ورأيك ؟ »

فعل كثر شيء كي يجعلك شرفاء محترمين لكنه لم  
يترك لك منيما بعد وفاته كك يعيش معه ( من اليد  
إلى الفم ) وبعد رحيله كان علي أن اتحقق بمعهد  
متوسط لافق على أخوتي وان اضحي بحلم  
الجامعة الذي كان سيحققني مهندس كك تمنيت «  
لم يكن لي راعيا في معرفة الوضع المادي للفتى  
فثروته تسمح له بالاعاق على أزواج بساته وانهم  
واحددهم ان كك الابداء يرعمون انهم ( يشترون  
رحلا ) دور ان يعموا م يقولون حقا لكن ابي كان  
هو مشنري الرحان الوحيد والآخر في هذا العلم  
كان يهيمه معدن الفتى ..

ثم - وهذا الالهيم - كان يعني معرفة مدى تأقلم  
الفتى مع نمط حياتنا - الحياة التي يحاول جاهدا ان  
يغدو فردا فيها

هل سيقبل حين يعرف أكثر ؟

هل سيطر على حماسه العبيد حين يتكلم الآخرون ؟

حين يعرف طرفا من أسطورتنا ؟

\*\*\*

« شاب ابن حلال ومودب ولا أرى ما يمنع من ... »

« المشكلة هي أنه لا يعرف !.. »

قَالَهَا فِي عصبية جعلته يشرق بالذخان فيسعل ثم أوقف :

« كبح كبح ! إن هذا الفتى أحمق ليس من البلدة ولم يسأل عنا ولم يخبر أحداً بقراره هذا .. »

« إن النصيب حين يحى .. »

« بل هو غش وتدليس لو كان هذا الفتى راغباً في الزواج من ( هـ ) فعليه أن يعرف الخفيات كلها بعدها نتفهم لا أريد أن يقول إبنى خدعته فيما بعد .. »

فِي جَزَع هتفت الأم :

« لكن هذا يعني ألا يعود .. »

« هذا أشرف من العش .. عانس شريفة هي خير من مطلقة أو زوجة معتوه .. »

صممت المرأة على مضض ..

كانت تخدع نفسها منذ البداية وعنفت كل تعاسة ابتتها على شماعة السحر نكتها تعرف من البداية

أن السحر برىء من هذا . وأن ابتها لن تتزوج بسحر أو بدونه ...

\*\*\*

فِي الْمَسَاءِ الْآخِرِ تَوَغَّلَا ، جلست في حجرتي أمام المرأة أمشط شعري وأأمل وجهي . وجه الحورية الذي أقيم به حباً ..

جاءت ( س ) أحتى وجنست جوارى على حافة الفراش ، وهي تقضم قطعة من أجاصة ( كمثرى ) ، وقلت تتلعنتي برهة .. ثم قالت :

« لم يأت الضيوف اليوم »

« لقد نهاهم أبي عن زيارته الليلة .. فهو يعرف بقنوم ( ع ) .. »

فِي شُرُودِ قَالَتْ :

« لو أنه رآهم فن يلاحظ شيئاً غريب »

« لكن الأمور تتضح بعد حين .. هل نسيت ما حدث لـ ( نرمين ) في تلك الليلة في مسكن الطائبت ؟ ما إن دخلت ( هيام ) البائسة من الباب حتى راحت ( نرمين ) تصرخ وتونول .. ووقفت على الفراش مرددة في هستيريا : ( لا تلمسيني ) !

عنده لم تجد ( هيم ) بدا من الفرار فلاختفاء من  
حياتنا تماماً .. »

برغمي ابتسمت ابتسامة عصبية وسألتها :

- « وماذا حدث لـ ( نرمين ) ؟ »

- « عولجت لفترة من الانهيار العصبي احمين  
في هذا أن أحدا لم يصدق حكايتها ، خاصة أنني  
انكرت كل شيء ثم إنها تركت العسكن نهائياً  
فضلت السفر اليومي من وائى بلديتها »

- « كان حظاً سعيداً .. »

- « لكنه بن يتوافر دوماً ان ( ع ) سيعرف

وعندئذ ... »

رفعت خصلات الشعر من فوق حبينى وغمغمت  
في حيرة :

- « لعمرى لا افهم لماذا يمقت الناس الموتى ؟ »

السؤال الحائد الذى يتردد فى ذهنى منذ الصب .

لماذا يمقت الناس الموتى ؟

يبدو نى سؤالا له لا نهائية الكون وعموضه

لماذا يمقت الناس الموتى ؟

\*\*\*

- « لأنهم حمقى .. هذا هو كل شيء .. »

قالتها اختى ( ن ) وهى تتقلب فى الفراش . كن  
اخى ( ي ) مازال ساهراً يحملق فى السقف حين  
هزها لتصحو ، وسألها عن السبب الذى يجعل الصبية  
يتحرشون به فى المدرسة ...

قال لها فى حيرة :

- « يقولون اننا ( سيت العفريت ) ، وما الى ذلك »

- « هم أحرار فيما يقولون ما دمنا لسنا كذلك .

وعلى كل حال أنا لا أرى فى العفريت إهانة ما

والآن .. نعم .. نعم ! »

\*\*\*

جاء الممساء القالى ..

وكانت هناك حركة غير طبيعية جهة المقابر

المشاعل والكلوبات مرفوعة فوق الأعناق .. وجموع

الفلاحين تزحف حول صندوق خشبى مغطى ببساط

أخضر والتعبار يتصاعد فى الهواء .. فترسم عليه

الاضواء ظلال القوم تزين يمشون الهوينى صاربين

الأرض بتعالهم ضرباً ..

إن للمسيرات التى تحمل المشاعل تأثيراً درامياً

رهيباً ربما لم يستطع أحد فهمه والتعبير عنه مثلم

استطاع المخرج ( حسين كمال ) فى المشهد الختامى

الضخم لفيلم ( شيء من الخوف ) ..



وتدريجيا بدا ان القرية كلها تمشي في هذه الجنزة ،  
ربما باستثناء ابي الذي كان يتعالى على المناسبات  
الاجتماعية كلها ...

لكن ( هاء ) خادمتنا البلهاء عادت لنا بالخبر  
اليقين ، وكانت في دار أمها بالجهة الأخرى من البلد ،  
جاءت تقول لنا ان الميت هو ( عبد الصمد قريظم )  
فلاح من ابناء القرية توفي في صراع بالمسدسات مع  
عصابة لصوص حاولوا سرقة الحمصية الزراعية  
واللصوص يعدون بإتياس رجال القرية طرعا في  
المرة القادمة ..

مع ( هاء ) يكون تفسير الأحداث سهلاً الخبر  
صحيح حتى عبارة ( فلاح من أبناء القرية توفي )  
اما ما يلي هذا فلا صحة له وهو ونيذ خيانتها  
المريض الذي لا يكف عن الفبركة والتأليف .

وحين انتهت مراسم الدفن على ضوء ( الكلوبات )  
ساد الهدوء المكان وان لم يأت ضيوفنا في تلك  
الامسية ، وبالطبع لم يخرج ( ي ) نلعب مع ( علاء )  
و ( ناهد ) ...

\*\*\*

في الليلة التالية جاء الضيوف ..

اولاً وصل المهندس ( محمود ) وامراته ، التي  
هرعت - كعادتها - الى المطبخ لتبدأ الترتيرة مع  
النسوة هناك ..

ثم جاء د ( نقيب ) صموتا كعادته . وعلى الفور  
تصعدت رائحة تبغ الغليون السكرية قليلاً ، والتي  
تعلن عن وجوده قبل ان يوجد ..

بعدها وصل ( عاصم بك ) برائحته العطرية  
( الدسمة ) التي تجثم على روحك كأنك التهمت طبقاً  
ضخماً من الزبد وحدك .

كان هناك رجل نحيل مهذب يرتدي عوينات سميقة ،  
ولا يكف عن الترتيرة في السياسة وجه جديد هو  
لكن ( س ) عرفت من مكانها في المطبخ ان اسمه  
( حامد ) .. وهو محام كما يبدو .

بعد قليل حضر رجل ..

كان فلاحاً يرتدي جنباباً معزقاً وحافى القدمين .  
وقد بدا عليه الارتباك .. بالتأكيد لم يبد متناغماً مع  
هذا الوسط ..

سأله ابي في رفق :

- « من أنت يا أخي ؟ »

كان صوت الرجل خفيضاً مدغوم المقاطع وهو  
يجيب بلهجة ريفية :

- « أنا ( عبد الصمد قريظم ) .. »

عاد أبي يسأله :

- « منذ متى ؟ »

- « أمس .. عصراً .. »

- « حادث ؟ »

- « نعم .. عند الساقية .. »

- « إذن تعال وأخذ مكثاً لابد أنك تشعر ببرد

شديد .. هل تشرب شيئاً ؟ »

- « أكون لك شاكراً يا بك .. »

رفع أبي عقيرته امرأ بانثى هنا تدخل ( عاصم

بك ) في عصبية وهو يزيح مبسم ( البارحينة ) جانباً

- « هذا غير لائق من المفهوم أنك لا نرحب

بتفلاحين هـ هنا وهذا الرجل فلاح يعنى تملأ

البراعيت ثيابه ولا يهم سوى في المنشية وأنا

أرفض أن ينضم إلى مجلسنا ! »

كان الارتباك يغمر ( عبد الصمد ) فلم يجد كلمت

يقولها وطقطق ( نجيب ) بنساته لا تدرى

امويداً ام معارضا أم أبي فقال في فتور :

- « ( عاصم بك ) أنا ارحب بتجميع هنا

ولئن كان الفلاحون يجدون ان حلستا هذه لا تريحهم

ولا تنسبهم فهذا شأنهم لكنى أقر الجميع

ولا اتعنى على أحد لانى فلاح ابن فلاح »

ثم باشمئزاز أردف :

- « امرأت متعاليا عرفت الفارق بين حياة

الزيف وحياة الحقيقة ومازلت متعاليا " هل توجد

موعظة بعد الموت ؟ »

قال ( عاصم بك ) فى كبرياء :

- « مد اربعين عاماً كنت أحس مع دوق ( ويز )

تتمزح والان أنا مرغم على الجنوس مع

( عبد الصمد قريظم ) ! »

- « لست مرغماً على شيء .. »

كانت ( أم شفيق ) قد حلبت الشى للفلاح فتربع

على السباط السميك يحرعه فى عرفان

قرائمهندس ( محمود ) ان بيدد جو التوت الذى ساد

المكن ، فخرج وريقة من حيبه وقال فى مرح :

- « دعونى أتل عليكم قصيدتى الاخيرة . كتبتها

فى منسة الذكرى الخامسة لوفاة السيد رئيس

مجلس الإدارة :

ولئى الذى قد كان نبراساً

من بعده ساد الأسمى الناساً (\*)

ثم توقف متلمظاً وقال باستمتاع :

- « السينات كثيرة فى الشطر الثانى ، مما يعطى  
الاسلوب جرساً موسيقياً محبباً إبه نوع من  
الجناس الماقص »

وعاد يواصل ( معلقه ) المقية هذه

- « ولئى الذى ملك الجسارة والحجا

ولئى الذى ملأ الفؤاد حماساً »

هنا استدار أبى إلى الجالسين . وقال دون أن  
يستأن الرجل :

- « ثمة عريس جاء يطلب يد ( هـ ) .. »

- « مرحى ! »

- « ألف مبروك ! »

- « إبه لخبر يستأهل قصيدة طويلة .. »

قل أبى وهو يداعب شارببه الفخم شارداً .

- « المشكلة هى أنه لا يعلم شيئاً .. »

قال ( عاصم بك ) :

( \* ) يعتذر على مستوى القصيدة ، فهى من نظم الموقف ذاته .

- « ليس لديك ما تخفيه . اقربة كنها نعلم .

لا بد أنه عرف كل شىء »

- « أؤكد لك أنه لا يعلم ... »

قال د. ( نجيب ) فى تودة وهو ينظف عليونه

- « إذن لابد أن تصارحه . بل يجب أن ينقاتا

ويستمع إلينا ونستمع إليه هذا من حقه »

قال المهندس ( محمود ) متضيق قليلاً من بتر  
قصيدته :

- « هذا طبعى مادمت تتوى أن يقيم فى دارك

بعد الزواج . أظن أن هذا ما تتنويه »

قال أبى فى شرود :

- « نعم فهو لا يملك مسكن ولن يوفر واحداً

خلال أعوام .. »

- « إذن عليك بمصارحته دون تردد . »

وساد الصمت ..

لكن الصخب بدأ فى عقل أبى ..

غداً يأتى الفتى مع شقيقته وأمه للتعارف ؛ ولوضع

النقاط على الحروف للمرة الأولى . فكيف يمكن

تدبير هذه المصارحة !؟

★ ★ ★



واصل القُط المواء ، فحضرت له بعض الثمن  
 الدافى فى إباء صغير ووضعته جواره  
 لم أكن واثقة حتى هذه اللحظة من حقيقته  
 هو قط حى أم هو من ذات عينة صيوف ؟  
 من هذا مستحيل بالنسبة لحيوانات العجماء التى  
 لا تستطيع التعبير عن نفسها ..  
 أحيانا كانت حيلة الألم تجدى ..

كنت أغرس دبوسا فى جسد الحيوان ، فدا صرخ  
 عرفت أنه حى يرقى وإلا كان معنى هذا  
 إن التجربة مرضية دون شك فقد أغرس  
 الدبوس بكامله فى عنق القُط لكنه ظر يلعق الثمن غير  
 مهال هى ....

دحنت ( س ) الحجرة فوجدت عكفة على إصبع  
 الكتن الصغير فركعت على ركبتيها تمسح على عنقه  
 وسألتنى :

- « هل هو حقيقى ؟ »
- « تعنين : هل هو حى ؟ بالطبع لا .. »
- ولثمت عنق القُط فى حنن و اردفت -
- « إنه ليس القُط .. بل هو شبحه ! »

★ ★ ★



لم أكن واثقة حتى هذه اللحظة من حقيقته  
 حى أم هو من ذات عينة صيوفنا ؟ ..

## ٧ - ضيوفنا ..

في تمام السبعة مساءً دق جرس الباب  
فتحت ( أم شفيق ) ليدخل منه ( ع ) وامرأة شابة  
بدنية هي شقيقته الكبرى ( م ) ثم عجوز ضئيلة  
الجسد ترتدي ثياباً لا بأس بتألقها بالتأكيد هي أمه  
دخلوا إلى قاعة الضيوف ، فجلسوا وعرفنا أن  
معهم سيارة اجرة تنتظر بسائقها خارج الدار فهو  
لم يكن ليجد مواصلات إلى المركز حين تنتهي هذه  
الجلسة .

جاء أبي فصافحهم وسره ما بدا على الأخت  
والأم من ملامح الاصر الطيب والمودة البالغة  
أنس طيبون لا يمكن شروى نقيير هكذا خطر له  
لكن هذا لم يمنعه من تكرار :  
- خطوة عزيزة يا حلجة ؟

وكانت المرأة تمتك عدداً هائلاً من التردد التي لم  
نسمع بها . على غرار ( أعز الله مقدارك ) ،  
( مواخذتك معك ) ، ( لظال الله عمرك ) ترد بها على  
كل عبارة مجاملة ببراعة منقطعة النظير

أما الشقيقة فراحت تقب عينيها في أرجاء القاعة ،  
و ( ع ) ظن يرمى رقعة معينة من البساط في تركيز  
حتى كد أن يتقبح وقد احمر وجهه كالطماطم  
بعد قليل دق جرس الباب ...

وظهر وجه ( عاصم بك ) ثم المهندس  
( محمود ) ثم زوجته ثم د. ( نجيب ) . ثم ( عبد  
الصمد ) ثم ذلك المحامي الحيل ( حمد ) وقد  
اتجه كل منهم ليصافح الجالس ، في حين يقوم أبي  
بالتعريف الموجز البليغ ..  
تري هل لاحظ ( ع ) والمرأتان أن أيدي القادمين  
باردة كالثلج ؟

ربما لكن المؤكد هـ أنهم لم يفهموا علاقة كل  
هؤلاء بالموضوع ، موضوع شخصي كهذا وهم  
مجموعة غير متجاسمة لا يوحى أفرادها بأنهم أقارب  
( هـ ) ...

قال أبي وهو يعود للجلوس :

- « هم أخوة أعزاء .. »

قالت الأم :

- « أخوة السعد والهناء .. »

مع هذه المرأة تنسر أنك تلعب لعبة تنس مع لاعب

مهرا يحيد صد كل كرات . كس عذرة تقال لها  
تملك هي ردا جاهزا عليها ..

ثم ان امي دخلت لتصافح امرأتين وتتمهما  
وبشارة حاتبة من ابي تسحت السوء الى الداخل  
على حين نظر الرجال جالسين يتبادلون النظرات  
قال ابي في رزاة :

- « ان الاسد ( ع ) شاب مهذب ينتظره مستقبل  
لا بأس به وقد جاء لطيب يد انتى ( هـ ) »  
لكن ( ع ) لم يكن ينظر نحو ابي ..

كانت عيانه مثبتتين على ( عاصم بـ ) ( عاصم  
بـ ) الذي مد اصابعه في التحم المشتعل في  
الرحيلة ( ورفع - في هدوء - قطعة لحم  
صهية وراح ينفخ فيها حتى تاجت درها ثم  
أعادها بنفس الهدوء إلى مكانها !..

ابي يواصل الكلام :

- « عليكم ان ( هـ ) هي انتى وأنتم أعلمها  
جميع لهذا لم ارد لهذا الموقف ان يمر دون  
أن .... »

عب ( ع ) تحيان لتفحصاد ( نحيب ) الذي  
أصفت سسكين الذي تقطع به الفكهة وراح - دون

هوادة - يعرسه في فحده مرارا وتكرارا  
يسلى نفسه في أثناء مثل الحديث !

احمر وجه ( ع ) وازداد تورر جنس على طرف  
المفعد يقرب عينيه في القوم وعلى لسانه الف  
مول

وابي مازال يتكلم

- « .. تشاركوا فيه بالرأى الشديد .. الذي .. »  
هذا تصنبت عينا ( ع ) على المهندس ( محمود )  
فراه يمارس عملا لا يمكن اعتباره لائق  
ولا يصدر عن شخص مهذب حتى نكته يمكن ان  
يصدر عن موت دون لوم كثير ...

كن ( محمود ) عكفا على نصق التحم المتساقط  
من وجهه في مكانه وقد بدا عليه التمسق  
لاصطراره لهذا العمل غير اللائق

كن هذا كغيا ووثب ( ع ) من مقعده لتراجع  
بضع خطوات الى الوراء ثم هتف في رعب وعده  
تتبعين محذريهما بصعوبة

- « هـ .. هذا .. أ .. أنتم لستم بشرا .. »

ثم بيدل ابي من حنسته ونفس الرزاة ونسوده  
ق



« انصحبك ان تهذا قليلا ب نسي هذه هي الحقيقة ان هؤلاء يقوم ليسوا بشرا احياء ! »  
« .. إذن هـ .. هذا يعني .. »  
« نعم يعني .. »

« انكم بسم الله اترحمون ارحيم ! »  
« لم تقر الا الصدق ! »  
تراجع الفتى للباب اكثر واكثر على ان يؤتى الادبار لكن اصبح الى الحارم اوقفه في موضعه  
« لحظة .. بو خرجت من هذا الباب فلن تدخل منه ثانية ثم ان تصرفك يعكس ادبية مفرعة ههنا بعد من بيت لاسماح دون ان تتساءل عما يحدث الآن لامك وأختك ! »

توقف الفتى ورفع يديه في توتر صدم :  
« هذا صحيح ام أمي ماذا ف فعلتم بها يا أنذا ! »

طهلق د ( تحيب ) بنسائه معترضنا ولوح ( عاصم بك ) بانمسة في ضيق اما المهسدس ( محمود ) فقال في فتور :

« نحنم ب فتى ان فرصت في بين رضائنا تتضاءل بسرعة ههنا واعتقد ان هذا الانسان البذيء لا يغري بالحوار .. »

قال أبي مهدئا النفوس :

« صبرا يا اخوان ان هذا الفتى مصدوم وكل شيء مباح لمن افقده الرعب صوابه »  
ثم تقوون مبسم ( المرجيلة ) وسمه في فمه وقال بعد ان سحب بضعة أنفاس :

« ان كنت منهم ب ( ع ) انا شخص حي منك لكني استضيفهم في داري ولهذا قصة طويلة سحكيتها نو عدت الى مقعدك اريد منك ان تكون رجلا جديرا برجولته . »

بحضى متفكة عد ( ع ) الى المقعد وجلس جنسة هي الى الوقوف اقرب وتساءل في توتر  
« أمي .. أختي .. هل هما ؟ »

رفع أبي كفه مطمئنا :

« بخير طبعاً هما مع روجنى وبناتى وكلهن حيات طبيعيات نحن لا نضمن ان ترى النساء ما رايتك انت فهن يفقدن الوعي ويولونن ويصبين بالجنون وكل مالا نتمنى حدوثه .. »

دفن ( ع ) رأسه في كفيه واهتر قليلا

« .. إذن كان ماقلوه عنكم صحيحا ! »

« من قال ؟ »

- « رماني من القوية و ( فرائض ) المدرسة  
عنهم فذا هذا نكسي ثم صدق حرف ان اومن بتعلم  
فحسب .. »

- « ربما كان هناك علم يصف هذه الظواهر .  
لكنه لم يبد لم يسبق انده بعد ليس العلم التوحيد  
منه . . . . .  
ثم راج لي بحكي قصته القصة التي خلقت  
أسطورتنا .

قال لي وهو يقول ( المسم ) - ( عصم بك )  
- « في شبابي كنت اعبت وأصدقني كثيرا في هذه  
الأمور كنا معدومي الخبرة والمسئولية ، لهذا رحنا  
ننهو حول الحدود الخطرة للحياة والموت اعتدنا  
تحسير الأرواح ولم نعلم كيفية صرفها النتيجة  
هي ان صرنا محاصرين وجر اثنان من أصحابي  
وانحر ثلث اما ان فقد عقدت معهم صفقة  
مستور بنى وعلى من ياتي من نريتي ان يقلل  
استصدة اشبح الموتى خاصة هؤلاء الذين ماتوا  
حديث ويشعرون بالعربة والحيرة في عالمهم الجديد .

معى يشعرون بالتدفء الإنساني ويشعرون ببعض  
الوقت باتهم ما زالوا احياء يرزقون «  
ووضع ساقا على ساق وضم عبءته على كتفيه  
ولفد :

- « من يومهم والموتى - أو استباحهم - جرد من  
عائسى بنتى مفتوح لهم عند مجيهم ليلا يمضون  
معى اياما شهورا . ثم يرحلون ويأتى اخرون  
غيرهم ، كل أناسي تربوا وسط هؤلاء الزائرين  
النيليين ثم يتعلم واحد من أناسي ان يخاف منهم أو  
يمرء لهم بكنمة تجرح شعورهم ( ان الاستباح شديدة  
الحساسية حقا ) وكل أناسي يعلمون ان الاستباح  
مستور بيوتهم حين يكبرون ، لان هذا هو قدرهم «  
وابتلع ريقه كتما عدت إليه ذكرى اليمة

- « لا أكتمك سرا ان هذا هو سبب طلاقى من  
زوجتى الاولى . لم تتحمل المرأة هؤلاء الزوار كل  
ليلة ، وأوشكت على الجنون . ثم اتنى أليت ان  
أعيش طيلة عمرى جوار المقابر لان هذا اقرب مكان  
الى أصدقائى ولم ترض المرأة بهذا وانفصلنا ان  
بنتى يعرفن قصة مختلفة عن طلاقنا لكن هذا هو

السبب الوحيد والآن ان متروح من فلاحه طيبة  
فلاحه من طمى هذه الارض التى لا تعرف فارقا بين  
حي وميت ان اترقيين - كحداهم انقراغنة -  
لا يرون فى الموت سوى رحيل الى ارض اخرى  
سفر ويتحدثون عن موتاهم كاتهم احياء يرون  
ويسمعون كل شىء لهذا لم ترفض هذه المرأة  
الطبية حياتى بعد شرة من الدعر صارت حزاء من  
هذه الحية واتحت لى انفالا علمتهم ان هذا هو  
الصواب ولا صواب غيره ..

ثم مال برأسه نحو ( ع ) وتساءل :

- « ما هو رأيك فى كل هذا ؟ »

لا جواب من ( ع ) ..

- « ثم ارد حدثت كان من الممكن ان اطلب من  
ضيوفى عدم المجيء الى هنا او كنت اجعلهم  
يبتون ونكن لا يقدمون هذا العرض الشاق لكنى  
أردت ان اطلعك على البيت الذى طنبت الدخول فيه  
وان اريت نمط الحية الذى ينتظرك فهذه مازلت  
راغباً فى ( هـ ) بعد ذلك ؟ »

صمت ( ع ) لم يحرو على رفع رأسه ليرمق  
من حوله بعدما تكلم من كونهم استباح

كان لونه كلون الحثث والواقع ان من يدخس  
الحجرة كن سيحائه هو الشبح والاحياء هم من حوله .  
هنيهة مرت فبرهة ثم همس بصوت مبجوح  
- « ارجو ان تنادى لى امى واختى »

صفق لى بكفيه يامر الخدم ان تدعو السيدتين ،  
لان الاستاذ ( ع ) يريد الانصراف ..

وجاءت المرأتان والحيور يملأ اعطفهما فقد  
كان التعرف مع نساء الأسرة و ( زيب ) هاتم ناجح  
تماما

فما راتا وجه الفتى الساحب المتهالك اثرتا الصمت  
وقررت ان تعرف ما حدث - وهو غالبا غير سر - فى  
طريق العودة .

تمت المصافحات سريعاً واتجهوا الى الباب ،  
وهما تعدان بتكرار الزيارة مرارا وان البيت  
سيكون واحدا ان شاء الله

كان ( ع ) منهرا تمام كدمية ( ماريونيت )  
انقطعت خيوطها وقد سحبته المرأتان من الباب  
سحباً ورأسه يترنح كلما انقطعت العضلات التى  
ترفعه فوق العنق ..

وحين انغلق الباب ساء الصمت ..



بعدها قل د ( نجيب ) في وقرة المعبد

- « لن يعود .. »

قال أبي بنفس الوقار :

- « لم يسورنى شئ فى هذا لكنه رجب شريف

على كل حال .. »

قال المهندس ( محمود ) فى قلق :

- « مادا لو ملا الدنيا صخب وراح يثرثر بما

رأى ؟ »

- « لن يتكلم وإذا تكلم فما الذى سيضيفه الى

كل الاقويى التى تملأ القرية ؟ كل انفس تعرف ان

الانشاح تزور بيتى والندة لا يضيرها سخطها بعد

ذبحها .. »

قال ( عبد الصمد ) حيث تربع على البساط يعبت

فى قدميه :

- « لقد آذيناك حقاً يا بك .. »

قال أبى فى طلاقة :

- « لا تقل هذا أب نفسى ثم أعد اطلق الآخرين

كل هذا العرور والسخف انتم فقط عرفتم الحقيقة

ومدى ضالة الانسان لهذا اجد ان لديكم نصحا

هائلا يناسبنى .. »

قال ( عاصم بك ) فى لزوجة :

- « ماثلت أكرر عرضى .. »

- « لا تعد لهذا السخف أزواج ابنتى البكر من

سبح ؟ وشبح ماحن متصب متك مستحير .. »

قل المهندس ( محمود ) وهو يخرج قصاصة ورق

من جيبه :

- « يمكننى ان اسمعكم قصيدة لا بأس بها عن

زواج الشيوخ من شابات .. »

- « هن هى ( العراب - يا وقعة سودا - جوزوه

أحلى بعمامة ؟ »

- « بر هى قصيدة عمودية بالفصحى أقول فيها

زفوا الربيع إلى الشتاء فماتا

والدود من زهر المروج اقتاتا (\*)

..... إلخ ...

\*\*\*

ترى ماذا فعل ( ع ) ؟

وماذا قل لاسرته بعد ما عرف اسطورتنا ؟

(\*) نكرر الأسف !

## ٨ - مصيرنا ..

سائق عربة لآخرة ( عيس ) يساربه الكت  
وسوائقه الطوبئة ، بدا غير مستريح لهذا البيت  
لهذا دحر سيارته واعلق رجلاها عنقه والدار  
المصراع لتصغر لمحطة ( ام كنووم )  
وعما قر ل ( ع ) فيم بعد يصف تحدث انظره  
بالخارج :

- « كلاب سوداء كبيرة كانت تأتي من كل صوب  
وتقف في مواجهة البيت تسبح كأنها هت ما يثيرها »  
ثم اتسعت عيناه وأردف :  
- « ثم جاء طفلان - ولد و بنت - مرا بين الكلاب  
لرب وجل بر ان الكلاب تراجعت حينما راتهما  
و ... »

ورى نظرة عدم تصديق في عيني الام فقل في  
حماس :

- « أقسم بالله هذا ما حدث انت تعرف اني  
اقتعت عن الحشيش والنوطة وكمن صنف يغصب اليه  
ثم ان الطفلين وقفا جوار احدى النوافذ ، وراحا  
يناديان من يدعى ( ي ) .. »

وامست عجلة القيادة بيكت يديه وارده  
- « ثم يظهرا ما يدل على انهم لاحظوا وجودي  
لا أرى كيف . »

نكن ( ع ) كن يصدق هذا  
يصدق ما هو أكثر وأفدح منه ..  
\* \* \*

سائقه الام حيث جنست في المقعد الخلفي وراءه  
- « ماذا حدث ؟ هل تشاجرتم ؟ »  
قل لها وهو يرمى الضلام بالخارج ، واسبح  
الأشجار تتسابق على الجانبين :  
- « دعك من هذه السيرة يا امه لن اعود الي  
هذه الدار ما حييت .. »

تدخل السائق مستجعد وهو يشعر لفظة تبع  
- « خير ما صنعت يا استاذ ( ع ) سبحارة »  
لا ان هذا البيت ابر القسوة في جسدي . ان قلب  
المومن دليلة ، وان مؤمن والله الحمد صحيح اني  
كنت اتعاطى الحشيش نكني الان لا افعل أنا مؤمن  
وهذا البيت ليس مريح - تأكيد ليس مريحا -  
لم تعلق الأم .. وواصلت السؤال :  
- « هل رأيت شيئا ضايقك ؟ »

غمغم وهو يستد جبهته الي زجاج السقذة البارد

- « قلت لك أن تنسى هذا الموضوع .. »

- « لا يوجد ما يستحيل إصلاحه .. »

- « إلا هذا يا أماء .. إلا هذا .. »

لاحت بيوت المركز من بعد فراح يعبت في  
جيبه بحث عن النقود التي سيفقد بها السبق  
خرجت من حيسه زهرة حمراء لم تذسل بعد  
ونصبها هناك ..

كنت هناك في دار ( هـ ) مزهريّة ملأى بزهور  
حمراء يتعة بالظن ففى بيوتهم تعود الزهور  
الدابة إلى الحياة أشباح بشر وأشباح كلاب وأشباح  
زهور كرسى جسر والزمن ذاته يتجمد

★ ★ ★

زهرة حمراء تنفط أنفاسها على أسفنت لطريق الرراعى  
هل رآها أحدكم ؟

★ ★ ★

لماذا يا ( ع ) ؟ لماذا ؟  
كنت قد بدأت أهتم بك يا أحمر

★ ★ ★

خير سار اعلمه ( عصم بك ) فى النينة التالية  
انه قد صار مستعدا للترحيل الآن ونحن يعود  
للمجرى فى النياتى المقبلة خير سار لانه يعنى ان



سبح شمس سبح سلاط سبح زهور  
والزمن ذاته يتجمد !



الرحل قد صبح وتغير فكرة الموت وسار لا  
(عاصم ث) كان صيف مرعد يحمل عيوب الاحياء  
كلها .

لكن الفراق أليم دوماً ..

ودموع حياره سالت من ابي وهو يعتق الرحل  
مودعا .. كذا عاتقه الآخرون في حراره ..

قر (عاصم ث) وهو يصبح من وضع ظربوشه  
- لقد عرفت اسعد ايام حيا - اسعد ايامي  
في هذا البيت وعرفت معنى الصداقة الحققة انكم  
تخففون عن كل الاندال الذين تحنوا على في حياتي  
وتركوا اموت بالسكينة النفسية دون ان يستدعوا  
التطبيب كنت امتر لهم عحوزا لا نفع من ورائه «

قال ابي محاولا تغيير مجرى الحديث :

- « وأين ستقيم ؟ في الخرائب ؟ »

- « بن في القبر ذاته فهو مريح حمير نفيه  
افحم قور هذه القرية المكودة وان كنت امقت  
رؤية العظام التي تحول جسدي إليها .. »

- « كنت ذلك الرجل يا عزيزي »

وتعانقا من جديد .....

تساءل د (حبيب) وهو يصف غنيونه

- « ماذا عن بنت الشب (ع) الذي كان هذا بالأمس ؟ »

قر ابي وهو يريح يده على كتف (عاصم ث)  
- « يقول (ي) انه تغيب عن المدرسة اعتقد انه  
سيتغيب لفترة وبعدها يضب نفيه الى قرية اخرى «  
- « هذا ليس مستغربا .. »

وفرغ الاصدقاء من الوداع ..

واتجهوا نحو باب الدار ليعود من منهم الى مكانه

\*\*\*

نكن (ع) عاد إلى المدرسة ..

في ذلك اليوم كنت هنت واقفة كعهدي بانتظار  
(ي) حين رايت المدرس الشب قدم نحوى بجر  
رجله في تردد وكان يطر الى الارض عزم على  
أن يصطدم بي (بالصدقة) ..

واصطدم بي فعلا فرفع وجهها باسمها نحوى  
وهنت :

- « (ه) ؟ يا لها من مصادفة ! »

تأملته في صمت ولم أقل شيئا .

ما الذي يتعبه بنضبط ؟ هو لن يتزوجني كما هو  
واصح وبنتاني ثم بعد هنت معنى للمحاضرات

بعدم زواجك من امرأة ما ، لهو اكبر اهانة يمكن  
وصفها .. وليس بغث ذلك بعد ..

قال لي معاتبا :

- « لم تخبريني .. »

- « نعم .. »

- « بما قاله أبوك ؟ »

- « لا ، لم تسألني .. ولست مضطربة بتعنيق الأخت »

نقول إنني استضرف الأشباح .. »

مر .. برهة قصيدة بعد غنم ( ع ) في حيرة

- « نعم عد لري .. أسي امر أيت كثير أكل من

هذه شجرة شمر حيا .. أنه يفوق الطبيعة ويعوق

حرب البشر .. وهذا تحديسي جيب لاسي

لا أقبله ؟ مستحيل أن يقبله أحد ! »

شبه في كرب .. وقد أرمق الجهة الأخرى

- « نعم أوصفت بسى .. ومع تصليب الآخرين بشيء »

أنت حر في قسور ( تراتيب ) على خريطة العالم أو

عدم شأنها .. فهذا لن يعبر شيئا ( تراتيبا )

موجودة بالفعل .. وستبقى كذلك .. »

- « أردت أن أفسر لك فحسب .. »

- « هذا مجهود لم يطلبه أحد .. »

- « لقد أحبتك حقا .. »

- « التمتع بحوثي ولا حيلة لي في هذا .. »

هذه كل ( ي ) قد وصرت .. وحسب سنده في فنون

لقد قبضت على كفيه في حزم وابتعدنا ...

\*\*\*

وكنني - حين عدت ألى دارى - لم أعد أمثك ذات

الكبرياء المتوقد .. وحظر لي أنه قد يكون على شيء

من صواب ..

إن علمي لغريب تنادى وليس ديبه إلا يتمكن

من قبوله .. من قرأ من الموتى الذين يزورون دارك

ليلا موضوع يحتمل المناقشة ؟

أنت - في تماسكا الأسرى - قد طعمت العالم

الحرجى كثيرا .. وفرصنا عليه ن يعيش بمقاييسنا

وإلا كان عالما رديلا ..

تمسح الفظ في ساقى

فأزحته على بشيء من اشمزاز ..

إن من هذا يندفن الطبيعة .. لهذا هو مفر وعريب

وفي المساء بدأت الدموع تهطل وسدسى ثمرة الأولى

وتذكرت قصة ماتت منذ أعوام

\*\*\*

مثف جاءت ( هيام ) لتتثرثر مع ( س ) ومثلما

يحرى ( علاء ) و ( نهد ) ليلعبا مع ( ي ) .. كانت

( ريم ) تأتي تدارك ليلا كي تدرس معي

كانت ( ريم ) في سننى - الثالثة عشرة وقتها -

حزينة شاحبة لا تتسم أبدا .. وكان هذا يفرغنى

فلاضطر والمرحسون الذين لا يضحكون مرعون دائم

لكنى - نادى - لم اك ان اظهر رعبى وكنت اجنس  
 حوارها على الفراس ، ووضعت كتب الرياضيات  
 والجغرافيا والتاريخ كومة واحدة جوارنا الأدهى  
 هو ان ابس كس يغلق الباب عني كى لا يعطى شىء  
 عن التحصيل ، وحتى لا أستطيع الفرار  
 وكنت اتأمل عينيها الذابتين وشحوبها  
 واتساءل عن سر اهتمامها بالتحصيل الى هذا الحد !  
 لم تكن مقبلة على امتحان بل تكيد لئلا تمارس  
 كل عاداتها وهى حية مثلنا .  
 وكانت الفكرة تعلمونى دعوا على ذعر  
 ان استرح الذعر ذاته . ووقن ان حياتى لم تكن  
 طبيعية قط .. ولن تكون ...  
 اه ! لو اكون اخرى لو انفصل عن هذه  
 الاسيرة وايدا فى مكان جديد سحيق خال من الموتى  
 وسيرتهم .  
 لكنى لا اعرف لنفسى حياة اخرى ولا اسم  
 اخرين ..

\*\*\*

اغفر لى لحظة الوهن هذه ..  
 هاندا أسترد قواى ، واعود الى حبيبى واتحاضى  
 بأسرتى ..

ان من يبنى ان يكون منا لا يستحق ان يكون من

\*\*\*

فى المساء رحت اتأمل وجهى فى المرآة  
 يا تجمال الباهر ويا تسحر ! لكن كل هذا بلا  
 جدوى كرهرة بارعة الحسن تنمو فوق قمة جس .  
 فلا يراها احد ولا ينتفع بها احد ، ثم تذير وتموت  
 كل هذه الحياة عبث طويز مرهق ، يستهى بأن  
 اموت واتردد فى صورة شبح على دار ( س ) لافزع  
 زوجها لو صار لها زوج ...  
 لى اعرف مذاق الامومة ولن ادغدغ طفلاً رضيع  
 اعرف انه جاء من أحشائى أنا ..  
 لن اراه وهو يكبر ويحطو خطوته الاولى على  
 الأرض ..  
 ولن احب له - فى صرامة - عن زوحة تنسبنى  
 أنا لا هو ..  
 واتفجرت فى البكاء ..

\*\*\*

لا أريد الاعتراف بهذا ..  
 ان خحول من التصريح لكنى مرضت جدا  
 وهربت فى لايمة ثانية وكس جسدى يبنى ان  
 يشارك برادتى التحدى ..



رحت أقرء مراراً .. وأعاف الطعام ..

و ميلات حترتى برائحة البحور ورفقتى امسى  
عدة مرات ، بدأت منذ فى احدى من جعلها توقن  
بأننى محسودة ...

وسمح لى لى ( نجيب ) بأن يفحصنى  
كان على ان احمض ادمته المتشوحه على نفسى  
وان افوم حقيقة ان من يكتشف على ليس حيا  
نكر لى ( نجيب ) كان بحيد مهنته حاف عرفت  
هذا من امسى فيما بعد ...

قال لأبى فى قاعة الضيوف :

- « ان اعراضك ليست جثمانية انها اعراض  
نفسية تمام اعراض اكتئاب تدعى حاد »  
- « سبحانه الله ! وتقىء وتهزل ؟ »  
- « الاكتئاب هو مرطبان النفس .. »  
تسامل أبى وهو يسترخى فى مقعده :  
- « والحل ؟ »

- « الاكتئاب التدعى لا يروى الاسرار المسبب  
ان ( هـ ) تدعى رتبة الحبة والتغلافها فلا اصدق  
نهي و نخطب ينغرون من هذه اذار كما حدث مع  
المدعو ( ع ) ان الحل يمكن فى ابعده من هـ  
أو - واسمع لى بهذا - تزويجها ! »

صاح أبى فى حق :

- « تزويجها ؟ هل تقول ان ابنتى ؟ ! »

رفع د. ( نجيب ) يده مقاطعا :

- « انى سنة الحبة ودورها السيونوية الى حننها  
الحنق لقد حنق الله على تزويج وتغير الارض مع  
روحها وليس لهذا علاقة بسسستها السيونوية  
وحير يتحدى سنة الله هذه يكون امرص النفسى  
أبسط ما نلقاه .. »

حك أبى ذقنه مفكراً :

- « عدم لاس به ونكس ماذا عساي ان افعل ؟  
هل أدور على الديار أطلب عريساً ؟ »  
- « ان الفتى الذى تقدم لها منذ ايام مدسب للغيرة  
وحسبها متعفة به الى حد ما برغم مكبرتها ثم  
لا تحاول معه ثانية ؟ »

- « احسن ؟ وكرامتى ، ماذا لو رفض ؟ »

- « ان الأمر يستحق المحاولة .. »

هب بهمس ( عند الصعد ) من محسبه على التسلط  
وقال فى حماس :

- « دعه لى يسيدي ان اعرف كيف اشعه ؟ »

\*\*\*

## ٩ - أسطورتنا ..

حدث هذا حين كان ( ع ) عبدا من المدرسة  
كانت دروس الفترة المسائية قد انتهت ، وقد بدأت  
الشمس تنحدر إلى الأفق تتعفن بعد يوم مرهق من  
العمل

يمشي ( ع ) حوار الترععة قصدا موقفا السيارات .  
حيث تحسب تلك الأشياء المتهلكة من القرن  
المبصرى سيرت كانت فجرة فى الأربعينات ثم  
اعطى الزمن قلبها نكها طلت تتحرك  
بعربة من هذه وتارة قروى يعود إلى المركز  
يوميئا حيث يتناول وحتته الأساسية ، ويصلى  
ويصلى فى الفرائض المتهلكت إلى الصباح

كان يوما طويلا أرهقه ..

وفى الظلام لم تكن الروية وصحة تعينه المتعبين  
نكن هات دوم سيرة احيرة تنتظر آخر الذهب  
إلى المركز بعدها تنزل قريب عن العلم تمام  
الطريق صر محمورا فى دمه بعد كل المرات التى

قطعه فيها فهنا البقل ( سمين ) يدخل الحورة  
على دكة جوار محله وهب الكلب العجوز يعفوا على  
سب دار وهنا حذع النخبة المقطوع الذى وضعوه  
كجسر على ضفتى الترععة ، والذى ينهو فوقه الصبية  
لا يهابون التسقوط فى الماء ، ويسميه أهل القرية  
( القحف ) كانه معتم ترى من معائم قريتهم ثم  
عدد من الجاموس عدد من الحقل تتقدمه طفلة  
صغيرة ضامرة كالقمة حافية القدمين سيجن الذى  
سخر هذه الوحوش لطفلة يمكن ان تهتم لو داسها  
حافر واحد ...

ثم المتحنى جوار هذا البيت الطينى ..

وتمر فى حارة ضيقة تمويه الكلاب لكن حذار  
من ان تدوس ذيل احدها انها على العموم مسائمة  
اعتادت وجوده ..

و

\* \* \*

كان العملاق يقف فى الظلام ..

فى يده ( نيوت ) هيل الحجم يرشعه منبرا  
وتردد الصوت العميق الرهيب يقول :



- « اذهب إلى البك واسترضه ! »

وسحب قلبه انقلب في نفسه وسد عن في حيرة .

- « هـ . من انت ؟ »

- اب واحد من ترمهم انت نهد اما مدين

له عنت ر يعود ويحسب يد ( هـ ) هتم ' »

يراح نفس الى الوراء ، وسبح شرف

- « إذن .. إذن أنت واحد من ! »

من العملاق من دبره لسور الشحج ، فاستطاع

( ع ) أن يرى ملامحه إلى حد ما ..

نعد كس حنك على السمت في سكة الامسية '

أطلق صيحة واستدار ليفرز ..

عبد شعر سبيء بحمته من ظهره وقدمه

ترفع عن الارض فراح يركر ويتنصص

- « عد للبك واطلب يد ابنته .. وإلا .... »

صرخ ( ع ) مستغيثا :

- « هذا لن يكون ! »

- لا تتركك برأيك .. »

- « لا ! .. »

من العملاق من دبره لسور الشحج فاستطاع ( ع ) أن

يرى ملامحه إلى حد ما ..



في اللحظة الثانية أدرك أنه يرتفع في الهواء  
وأنه يقوص في بئر عميقة مظلمة ..

كان ( الترائس ) الذي تحسّد فيه مياه المجارى  
- فائرية ليس لها نظم صرف صحي - مفتوح بفعل  
قذع في هذا الرقاق الضيق وبنّاني غدا حصرا  
مريغا على الغافلين ..

لكن ( ع ) لم يدرك - وكيف يدرك - أنه هو بذات  
يهوى في البئر المظلم كرية الرائحة ...

\*\*\*

مرّ يومان والقلق يعم الجميع ...  
كثيرون جاءوا يبحثون عن ( ع ) وتم سؤال  
الجميع .. لكن أحدا لم يدر بالإجابة ..

كان الشواهد تقول أنه عذر المدرسة مساء عدته  
لكن السابقين يتكروا جميع رويته لينتها

لقد راه اسفل العذور وبدنه النحية معى هذا  
أنه عقد في مكان ما بين متجر السقالة وموقف العربات  
لكن البحث لم يسفر عن شيء يوجد ( ترائس )  
مسي في هذا الرقاق لكنه مغلق من سنين  
وعطوه محكم يعجز رحلاب قويس عن إزاحته . إذن  
هو غرق في التركة ..

لكن البحث لم يسفر عن وجود جثته المتسمة المستفحة  
التي تمنى رجال الشرطة أن يحسوها تنتهي القصة  
أنت مفقود يا سيدتي خرج ولم يعد ولا نرى  
ما يمنع من أن تتسرى صورته في الجرائد مع نداء  
استاتي  
انتحر " لانظن حتى ولو فشل في الحب كما  
تقولين ..

إن جثث المنتحرين لا تتسخر ولا بد أن تحديها في  
مصرف أو جوار شجرة أو وسط الممروعات .  
كلا لم ينتحر بك نرحح هنا أنه قد هرب  
فر إلى مكان ما لا يعرفه فيه أحد وبالطبع سيعود  
كلهم يعودون بعد حين ...  
فقط تجملى بالصبر والسلوان ..

\*\*\*

في الأمسية التالية في دارنا :  
جاء ضيوف أبي الواحد تلو الآخر ..  
المهندس ( محمود ) وزوجته المحامي  
( عبد الصمد ) .. د. ( نجيب ) ..  
ثم جاء آخر الضيوف ...

كان شاباً وادعاً يبدو الخجل على محياه ..  
فما إن رآه الجالسون حتى هبوا واقفين :  
- « أنت ؟ »

احمرت أذنا الفتى .. وهمس بصوت مبحوح :

- « نعم .. جئت أنضم لمجالسكم .. »

تأمله أبى فى شك .. وغمغم :

- « إن العالم كله يفتش عنك دون جدوى .. هل

أنت واثق من كونك ميتاً ؟ »

لم يرد ( ع ) .. مذ تأمله إلى التار فى الفحم ..

والنقط جنوة وهشمها بتأمله فى حركة درامية ذات

معنى ....

قال أبى وهو يعود للجلوس :

- « إذن أنت ميت .. ولكن متى وكيف ؟ »

رفع ( ع ) أصبعاً متهماً وجهه نحو ( عبد الصمد ) ..

وهتف :

- « قتلنى هذا الرجل .. رماتى فى ( ترانش )

مفتوح .. »

- « هذا هو السر ! لهذا لم يجدوا جثتك قط !

ولهذا أنت هنا .. لقد وجد لك ( عبد الصمد ) قبراً

دائماً فى القرية .. ونولا هذا لدفنت فى المركز بعيداً  
عنا .. لماذا فعلت هذا يا ( عبد الصمد ) ؟ »

حك الفلاح المذكور رأسه من تحت طاقيته .. وقال

فى شيء من حرج :

- « أردت أن أرغمه على المعجىء إلى هنا يا بك .. »

نظر أبى إلى ( ع ) وتساءل :

- « وهأتتذا قد جئت .. هل تحس حقداً على قاتلك ؟ »

قال ( ع ) فى شرود :

- « لا أرى .. من الصعب أن يحقد ميت على ميت ..

لكنى فقدت شبابى ومستقبلى وأسرتى بضربة واحدة

من شبح أحرق .. إن هذا يذهلى أكثر منه يحزننى .. »

ثبت أبى عينيه فى عيني ( عبد الصمد ) :

- « هل لى أن أعرف لماذا فعلت ذلك ؟ »

- « لأنى .. لأنى أحبك يا بك ! »

- « لعمرى هذا وفاء نادر .. لكنك تجاوزت الحد ..

تجاوزته وكان يجب أن تسألنى أولاً .. »

وأطرق إلى الأرض يتأملها :

- « كان يجب أن تسألنى أولاً .. »

★ ★ ★



## خاتمة

مرحباً .. أنا د. ( رفعت ) أعود إليكم لاستكمال  
التعليق على أحداث هذا الخطاب .. وهو - كالعادة -  
تعليق سخيف لا يضيف شيئاً ..

لقد انتهت أسطورتهم ..

وبالطبع لا أملك حلاً لمشكلة هذه الفتاة .. حتى  
لو ماتت فأنا أشك في إمكانية زواج الأشباح ..

ثم إنها لا تريد الفرار من هذه البيئة .. إنها تمقتها  
لكنها فخورة بها إلى حد غير عادي ، وهذا واضح تماماً ...

إن القصة مقبضة دون شك .. وكابوسية ..  
ومشلومة .. لكنها كانت تستحق أن أحكيها ، ولا أدرى

ما إذا كنت تشاركني الرأي في هذا ..

أما عن مصداقيتها فأمر يحتمل النقاش ..

ربما أحاول يوماً ما العثور على هذه الفتاة أو  
الاتصال بها .. إن الجلوس مع أشباح في قاعة

واحدة ، وتبادل الآراء .. لأمر جدير بالتجربة .. برغم  
كونه مريباً ....

ومن يدرى ؟

لربما اشتريت لنفسى قبراً في هذه القرية ، حتى

ومن يومها صار ( ع ) ملكي ...

إنه يأتي لنا في كل أمسية ، فيجلس جوار ( محمود ) ..  
وبصغي لأشعاره الرديئة .. ويتبادل النكات مع المحامي ..

وأحياناً يسمح له أبي بمغادرة الغرفة ، لأقف معه  
في الردهة نتبادل كلمات خجلى كالتى كنا نتبادلها على

باب المدرسة ..

لقد نسي ( عبد الصمد ) تفصيلاً بسيطاً ...

من المستحيل الآن أن أتزوج من ( ع ) لأنه شبح

وأنا حية ..

وقد غدا الوضع أكثر تعقيداً مما كان ...

لكنه ها هنا .. جوارى إلى الأبد .. ومعه أبى ..

وكل الأعراء الذين أنتمى إليهم ..

لقد صار ( ع ) واحداً من أسرتنا أخيراً ..

وهذا يكفينى ويثلج صدرى ...

ويوماً ما ساموت .. عندها أكون معه للأبد ..

ونذهب لنمضى أمسيات دافئة عند أخى أو أختى ...

هذه هى أسطورتنا يا د. ( رفعت ) :

حكيتها لك بأمانة وصدق ..

لا أمل أن أجد عندك حلاً لهذا الوضع المستحيل ..

لكنى أرجوك ألا تبخل على به لو كان عندك .....

المخلصة ( هـ )



إذا مت كان من السهل على أن ألحق بهذه الأسرة  
الكبيرة ، وحتى لا أشعر بالوحدة في قبري ....  
لقد انتهت أسطورتهم ..

انتهت بشكل من أشكال الحب المستحيل ، مع  
الاعتذار للأستاذ ( رءوف وصفى ) على استعمال  
عنوان إحدى مجموعاته القصصية ...  
إن الحب بين شبح وإنسان حتى لأمر عسير إلى  
حدا .. ولا أتوقع له نجاحا كبيرا ....

★ ★ ★

في القصة القادمة ندخل بعدا آخر من أبعاد الفرع  
التي لا حصر لها .. سنتحدث عن آخر الليل .. ليس  
أوله ولا وسطه بل الهزيع الأخير منه ، حين ينذر  
الفجر بقرب نجاتك .. لكنه لا يأتي أبدا ...  
ولكن هذه قصة أخرى .

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

رقم الإيداع : ١٦٠٦

المطبعة العربية الحديثة

١٠ شارع ١٧ منطقة الصناعية بالقاهرة

١٩٨٥ - ١٩٨٦ - ١٩٨٧ - ١٩٨٨ - ١٩٨٩ - ١٩٩٠

## ما وراء الطبيعة

روايات تعجب من الانعام  
من طرف القمصان والرقعة واللا

## روايات مصر في الجيب

### أسطورتنا .. !

الناس يتهامسون .. يقولون  
إن بيتنا يختلف عن كل البيوت ..  
عاداتنا تختلف عن كل العادات ..  
ضيوفاً بخلافون عن كل الضيوف ..  
الناس يتهامسون ويرتجفون ! يعلمون أن  
لدينا سرّاً صغيراً .. وهذا السر يجعلنا  
لا كالآخرين .. ولدينا أسطورة تختلف  
عن كل الأساطير .. إنها  
أسطورتنا .. !



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم :

أسطورة آخر الليل

لؤيس العربية الحديثة

الطبع والنشر والتوزيع

م. قاسم صقر للطباعة - القاهرة - ٢٠٠٩